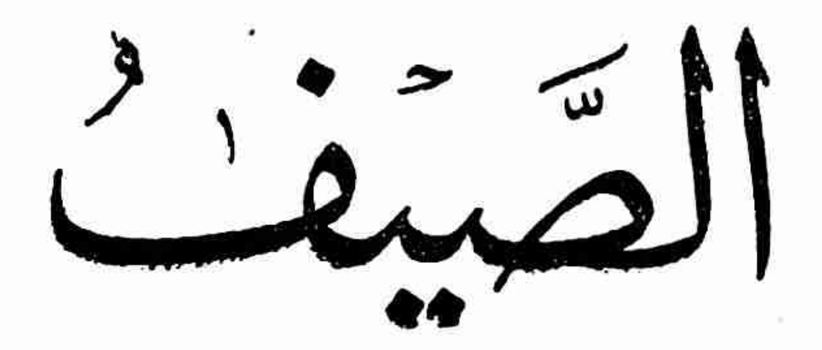
الياس حبيب فرحات



وهو الجزء الثاني

من

ديوان فرحات

سان باولو — برازيل

سنة ١٩٥٤

بعض قصائد هذا الجزء منتخبٌ من (ديوان فرحات) المطبوع في سان باولو سنة ١٩٣٢. وبعضها الآخر لم يُطبع في ديوان قبل اليوم

مطبعة صفدي التجارية
بمنظمة جميل صفدي

يا صيف انضجتَ مني

ما كان الامس فجّا

فليأكل اليوم شهداً

من ذاق امس فَمَجَّا

مقدمة

قلتُ في تقديمي لديوان فرحات الاول منذ ربع قرن «اني لأعجب بصديقي فرحات كيف صعد في سلم النشاء والارتقاء الشعري قفزاً بل طيراناً، فبلغ ما بلغه من الشأو البعيد قبل ان يبلغ من السن ما تنضج فيه قرائح الشعراء ويكتمل خيالهم وتفصح مفرداتهم وترتكز قوافيهم، ولست ادري ما يكون من شعر فرحات متى جاوز الاربعين، وامره اليوم كما يعلم العالم العربي اجمع».

وها انا التقي فرحات في احد دواوينه، بعد خمس وعشرين سنة سلخها لنا القدر من كبد الزمن، وقد جاءت النتائج طبقاً للمقدمات، وها فرحات ما زال يحلّق في سماء الشعر، تحيط به هالة من الجمال، ويحفه موكب من الاعجاب.

فارقت فرحات في الربيع، ربيع الحياة وربيع الشعر، في فصل الازهار والنسام، وها نحن نلتقي في اواخر الصّيف

المختلطة بأوائل الخريف، وقد تحوّلت العناقيد الى خمور أُديرت على الناس، فاحتساها الحاضرون وأعدّت لها الخوابىء ليثمل بها المقبلون.

وها دنان فرحات، او قل دواوينه، تعد ليُحفظ فيها شعره، وفيه تظل شاعرية فرحات، بعد فناء المادة، سائرة سارية الى عالم الخلود، متخطية المفازات ودائسه الشوك والقتاد.

سنين طويلة يظلُّ الشاعر واقفاً بعد موته على عتبة الخلود، قبل ولوجه بابه، كالواقف في العراء عرضة لعوامل الطبيعة من قرّ وقيظ وزوابع وامطار، فللأدب عناصره الهدّامة المبيدة، وهناك الزمن وتقلباته وسنوه، وما فيها من نقد الناقدين، وغيظ الحاسدين، وغضب الناقمين، وتقريع الهازئين. فان سلم منها وتكسّرت على مجنّته او زلقت عنها سهامها، فُتح في وجهه ذلك الباب الذي فُتح فيما مضى لهوميروس والفردوسي والمتنبي والمعري والخيام وشكسبير ودنتي وسواهم.

خمسة وعشرون سنة مرت على هذا السيار التائه في الفلك، لا كالسنين، اعمل فيها الانسان محراثه وحكّم معوله الهدّام

في وجه البسيطة، فقوّض أبنية شامخة، ونبش خرائب دفينة، واجتث ادواحاً باسقة، واستبدل الاغلال فـي اعناق شعوب قيوداً في ارجل أُخرى، واصبح بنو الموتى عمالاً مجدّين للموت، متفننين في استنباط اساليبه، يستولدون الحرب حرباً اخرى، بنظرية لا تخطىء كأنها ارقام حاسب خبير، فتطورت الاوضاع والنظريّات والعقليات واختلفت وتناقضت، وكان انعكاس هذا التطور شديداً مشوءوماً على الفنون والثقافة الادبية عموماً والشعر خصوصاً.

واغارت على هيكل الشعر العالمي، فحطّمت ابوابـه وولجته، زمرة من متشاعرين ونظّامين نالوا قسطاً من الأدب والثقافة، من اولئك الذين استولوا عنوة على ادوات الشعر من ألفاظ واوزان وقوافٍ وصور منحولة او مبعوثة من اجداثها، نزلوا بها على اهواء العامّة وميولها السطحية وضحاضح مشاعرها، وما كانت العامّة يوماً قسطاً في الفنون ولاصلحت قط للحكم بالشعر.

بيد أن الانتخاب والتنقية حدثا داخل جدران الهيكل نفسه. فبعض اولئك المغامرين أزاغت عيونهم انواره الساطعة

ففرُّوا، والبعض طُردوا، والبعض قبعوا على عتبته مهتابين جوّه الروحي النيّر الصافي، ولم يبق في صحنه وعلى منصتّه الا المصطفون، وهم قليل، وهكذا كان ولمّا يزل المصطفون، الذين تشع نفوسهم بتلك الاحساسة السريّة الغامضة فتمزجهم بجوهر الكون الاكبر النقي، وهي الشاعرية.

وعلى هؤلاء، دون سواهم، واجب للفنّ ملازم ملاصق لا يمكنهم أن يتملّصوا منه او يزيّفوه بالبيان الموزون والمذروع المقفّى، والموشى باللفظ المنتقى فحسب، الذي لا يخبىء في طيات غموضه الا اللاشيء او القيم الدنيا من حالات عارضة

انهم غارسو الأرز الذي تزلق عن لحائه عقود الاجيال دون ان تؤثّر فيه، لا غارزو فسائل في حدائق ادونيس، تصوّحها شمس اسبوع.

الشعر

ما قيل قط في صنف من اصناف البيان كما قيل في الشعر، ولا درس دارسو ضروب الأدب اكثر ما جهدوا في

أن يعرفوا عن هذا الاحساس الدقيق الرّهيف الذي يصطفي بعض الناس ابواقاً له، ويتخذ ما وضعوه له من الفاظ واوزان وقوافٍ، ليلج بها اغوار النفس، فيُسمعها معاً نغم المغني ورنة الوتر، ويريها لوحة الرسّام وخيال المثّال، ويحملها الى عوالم نائية لا يحيق بها وصف، ولا يستوعبها فكر، ولا يحدّها ادراك.

وما عالج الادب قط امروء دون ان يحاول مراراً وصف الشاعرية وتحديدها، حتى لو شئنا ان نجمع، نحن او سوانا، ما قيل في الشعر وآله، لشقّ او استحال علينا ذلك، ولضاقت، ببعضه مئات المجلدات.

وقد وصفت الشاعر مرة فقلتُ: انه ذلك المخلوق الدقيق الحس الرقيق الشعور، الذي ترى عينه ما لا تراه عين غيره، وتسمع أُذنه ما لا تسمعه اذن سواه.

هو ذاك الذي يخاطب صامتاً الزهرة والفراشة، والنجم والطير، والنسيم والزوبعة، والظلمة والنور، والفجر والطَّفَل، والبحر والجدول، والنرجسة والعوسجة، فينطقها بالحكمة الرائعة والفلسفة السامية، والنجوى الحلوة، ويوقعها لك على قيثارته

نغماً عذباً تائهاً، او هائجا صاخباً، او نائحاً باكيا.

هو الدارس حالات النفس ظاهرها وخفيها، والوالج قصر الملك وكوخ الفقير، وبيت الثكلى وخدر العروس.
هو ثالث المحبين المختبئين في منعطف الوادي على ضفة الجدول، ورفيق عامل السلاح الذي يُعد آلات القتل والهلاك.

هو الواجد في دمعة الحزين المتدحرجة على خده كوة كبيرة يطل منها على طبقة الانسانية التاعسة المتألمة، وفي نقطة الدم التي تقطر من سيف القوي عدداً لا يحصى من بني الانسان الذين قست قلوبهم كالنحاس وجفت كالصحراء.

هو الذي يتغلغل شعره في اعماق نفسك فيحرك عواطفها الدفينة، ويدخل قلبك فيهيج احساسه الكامن، وينسل الى جفنيك فيسيل عبراتهما، ويحملك الى عوالم نائية شاسعة فترى ما لم تكن رايته من قبل.

هو من تسمع شعره فتحس في نفسك من معانيه بنشوة، وفي اذنيك من حسن ديباجته ورقة عروضه باهتزاز موسيقي، فيحملك من القديم الرث، والمألوف المملول، الى التجديد

والابداع».

بيد أننا لو حقّقنا النظر في كل ما قيل لألفينا انه وصف للشاعر لا للشاعرية نفسها، وصف للقيثارة والوتر لا للنغم، وللزهرة والوانها لا لشذاها. فالشاعرية هي غير كل ذلك، هي وراء كل ذلك، وفوق كل ذلك.

هي تلك الاحساسة التي ظل امامها سوءال الفيلسوف بلا جواب، وأخفقت عندها مقدمات المنطقي، وكل اسطُرلاب الفلكي، وتبلبلت ارقام الرياضي ومعادلاته. هي، كما قال افلاطون، تلك الاحساسة التي تنقل المرء من العدم الى الوجود، من اللاشيء الى الكمال الاسنى، والتي لا يحسُّها الا الانسان خارج نفسه، في غيبوبته ولا وعيه، في حمَّاه وهذيانه، الانسان المفلت من المنطق، والخالق ما لا تسعه الالفاظ ولا يعبّر عنه مدلولها.

قال سولي برودوم: «ان في غيبوبة الصوفي التصاقاً بالله واندماجاً به» فقربَ الله يرى الصوفي نفسه على شاطئ خضمّ المعرفة العليا والادراك الاسنى، اللذين يحسهما الشاعر في انخطافه، ويُقصيها عن سواه صقيع المنطق ودعوى الذكاء

والقياس والتحليل. واذا انا أحجمت في هذا البحث المقتضب عن تحديد الشاعرية و كنهها، ودرت فيه راجعاً الى حيث بدأت، فلا اعزو ذلك الى عجز في التعبير، ولا اعدّه مني اخفاقاً، بل لان الموضوع عرضة لمتناقض القول، وذو شجون تندّه وتقصيه عن الحقيقة الايجابية التي تقرّها القواعد المنطقية.

ولئن اعيانا وصف الشاعرية واعجزنا ادراك كنهها، فنحن نتخيّل عظمتها التي أفلتت من بين اصابع الوصف وشبكة الادراك، ونحس الحاجة الى الشعر، فبدونه ما عاش الانسان قط ولن يعيش ابداً، فهو رفيقه منذ عصر الكهف الى حقبة ناطحة السحاب، ومن فجر فكره الى يوم جزأ الذرّة. بـه ناجى ربَّه واستعطف حبيبه، وتهدد عدوه وبكى ميته. وفي الحقب المتباينة والمتعاقبة التي مرّت على ضروب البيـان، فرسبت آونة وطفَت آنا، وانحطت حينا وسمت اخر، مـا زال الشعر يتطوّر هازئاً بالزمن وسنيه، ومضافراً الانسان في شتى حالاته وتقلّب ميوله.

وكما اكتشف العلماء فجأة فائدة الفيتامين في توازن عمل الغدد في الجسم، سيدرك البشر يوماً مـا للشعر من

المفعول الحيوي في النفوس، فهو عون الانسان على احتمال ثقل القدَر العاتي الاهوج، الذي لم تتمكن فلسفة اخرى من اقناعه به، وهو ذلك المصباح السحري الذي ينير وهاد النفس الداخلية المبهمة، فيظهر ما ابطنته من جمال وسناء.

تُطوى النظريات، وتتداعى وتتهدّم المدنيات، وتسقط الدول وتُمحى الممالك، وتدك العروش وتهلك عتر الاباطرة، غير ان اناشيد الشعراء تظل حيّة.

ولئن أكل العثُّ كتب الشعراء، او اتلفتها بالماء او النار يد الفاتح، يظل الشعر تتناقله الألسنة وتحفظه الاذهان كتراث حيويّ للشعوب لا تتخلى عنه.

وفي هذه الحقبة العصيبة من الزمن، التي تألّبت فيها المخترعات بنشاط ونظام، من المطبعة الى السينما، ومن المذياع الى التلفاز، لخفض المستوى الثقافي ترويجاً لنتاج موءسسات النشر والدعاوة النفعيّة، وذلك بالمنشورات السخيفة، والموزون الغنائي الغثّ، والقصص العارية من الثقافة الادبية، والمقاطع الشعرية الملوكة الهريئة أخذ الجماهير وجوم وحيرة.

فعوضاً عن الانغام الساحرة والموسيقى العذبة، حلّ الجازبند العربيد، واستبدلت النسام العليلة المنعشة مراوح كهرابائية، واستعيض عن الرسَّام بدهّان الجدران وعن المثال الفنان بباني الاجداث، واخذ الشعر يُقصى ويُبعد رويداً عن المجتمعات والمدن.

ولكن ماذا يهمّ كل هذا ! ؟

فعندما يهدم البرابرة بجنونهم الجامح هذا العالم التافه الزائف، الذي بنوه هم انفسهم على الرمال المائرة وفوهات البراكين، وعندما لا يبقى من ناطحات السحاب الا اطلال داثرة، ومن هذه المدينة الماجنة الاّ بقايا دوارس، سيتلفت بنو الموتى الناجون من ذلك السيل العرم، الى الشاعر، ويصيخون الى اناشيده .

الم تَبد قبل هذه المدنية مدنيات اخرى؟ ألم تُصب قبلها الهند ومصر واثينا وروما واورشليم وسواها، ثم انتفض الشاعر منتصباً من خرائبها، يحمل المهيراتا والراميانا والالياذة ونشيد سليمان وسفر ايوب ؟ !

وطنيتنا

لولا بعض موضوعات الديوان الذي أقدّم له الان، لما فتحت احد مصراعي هذا الباب الذي يؤدي الى عالم من احلام امة ويقظتها، ورجاء شعوبها ويأسها، ودمعها وابتسامها، ونظامها وفوضاها، مما لا يمتّ الى هذا البحث الشعري بصلة

ما لغيت قط بالوطنية شعوب لغانا، ولا تغنّت بهما تغنينا، فهي في منظوم شعرائنا، وافواه خطبائنا، واقوال زجّالينا، والحان مغنينا، وعلى صفحات صحفنا. وهي في معابدنا وحاناتنا، وفي اعراسنا ومآتمنا، نردد لفظها كباراً وصغاراً، نساء ورجالاً، حتى يخيّل لمن يجهلنا، وقد يخيّل لنا انفسنا، اننا اكثر الناس وطنية واعشقهم لها.

غير أننا لو استقصينا نشوة هذه الخمرة التي تسكرنا ظاهراً، لما ألفينا له اثراً في حياة اوطاننا، حتى قد يتراءى لنا أننا مصابون بمركّب النقص، واننا كالجبان الذي يكثر من الكلام عن الشجاعة والتمدّح بها خوفاً من ان يتكشّف جبنه فيوصَم به، والبخيل الذي يتغنى بالكرم ويغرق في

الاشادة بذويه، ليبعد عن نفسه صفة البخل. او قل كالمريض الـــذي يشعر بالالام تقضّ مضجعه ولكنه يأبى الـــدواء، والمعصّب العينين الذي يتحسّر على مرأى النور غير انه لا يمدّ يده لينزع عصابته.

وما خلت قط شعوبنا من اطباء الاجتماع وممرضي الوطنية، وكثيراً ما سمعنا الوصفات النافعة الشافية من افواه الشعراء والخطباء المخلصين، وقرأناها للكتاب المرشـــدين، بيد أن النزر اليسير الذي ظهر من نتائجها يكاد يحملنا على اليأس، ويخيّـل لنا في ساعات القنوط المرّة اننا امة تعوّدت زمانتها، وألفت داءها حتى اصبح يشق عليها مفارقتهما، او ان ادوار الجدب والجفاف الوطنيين التي مرّت عليها قتلت فيها عناصر التغذية الحيوية، او ان البزار تلقفته مناقير الطيور.

في الحقبة العصيبة، اذ كان الفاتح ينشر على تلك الامة العزيزة اعلامه، وتكم يده الحديدية افواه ابنائها الصارخين في وجه الظلم، وتشد اصابعها على حناجر الثائرين منهم عـــلى الذل، علت من المهاجر صرخات مدوية، من اولئك الذين افلتهم القدر من اعواد المشانق وايدي المستعمرين، فبرى

اولو الاقلام اقلامهم واعتلى الخطباء منابرهم لإنجاد ذلك الوطن المستغيث، الذي اجسامهم حفنات من ترابه، ودماؤهم دفقات من مائه، وارواحهم نسام من هوائه، وهبط الشعراء من جوائهم العليا، من حيث لا حدود ولا اقاليم ولا أديان وضعها الانسان، لعون اخوانهم بالبشرية، فاعدوّا من خيالهم الخصب واعاريضهم وقوافيهم، قنابل وحمماً، كان دويّها ولذعها يرجفان الفاتح ويقضّان عليه نصره.

وكان بين كبار قاذفي تلك القنابل والحمم صاحب هذا الديوان، الذي اشتهر في دنيا العرب، الى جانب ما امتاز به من الشعر العاطفي والخلقي والحكمي والفلسفي، بسحر منظومه الوطني وشدته.

ثم جاء الفرج، وامره مشهور، ولا مجال في هذا البحث للقول كيف ومن أين جاء، فكُسّرت الاغلال والقيود من عنق الاسير ورجليه وأُلقيت في اليم، وكان الاستقلال، وكان الجلاء، وظل هذا الشاعر يواصل جهاده الوطني، فبدّل الوصفات مقويات، والزمازم نصحاً وارشاداً، غير ان حربه استمرّت دون هوادة على اعداء الوطن الباطنين، على اعدائه

من بنيه، وهم لا يقلّون ضرراً عن اعدائه الظاهرين. على السوس الذي ما زال ينخر جذع الدوحة فيربي اذاه على اذى الجراد الذي كان يأكل قشورها وورقها. اولئك الذين ألفوا القيود فما زالوا يجرونها متّصلة بمعدهم واكبادهم وعقولهم، من جهل كسيح، وتعصُّب ضرير، ونفعية واقطاعية واستماتة في السلطان.

فوطن الشاعر هو غير وطن السياسي والانتفاعي والامَّارة والطمّاع. هو وطن الحب والاخاء والمساواة في الحقوق والواجبات. هو في ضم القلوب وحزمها، وصهر العواطف في بوتقة واحدة كبرى، وتوحيد الانظار الى الهدف الاسمى، ورفع البلاد الى المستوى الانساني المنشود، فلا يطلّ عليها سواها من شاهق بل ينظر اليها افقياً نظر الانداد والاكفاء.

اِسمع الشاعر واصفاً عروبته، واكبر معي وطنيته وعقيدته وبيانه:

ليست عروبتنا خرافة جنّة

تروي العجائز في الدجى اخبارها

ليست عروبتنا طقوس ديانة

تذكي الجهالة بالتعصب نارها

ليست تميّز احمداً عن بطرس

فالأم ترعى بالسواء صغارها

وتضمّهم فكأنها قيثارة

ضمت الى اضلاعها اوتارها

ما همّها من لم يصلّ ولم يصُم

ما دام يحمي في الحروب ذمارها

لا شأن للأديان في تشريعها

اجواق يهوه مثلت ادوارها

. . .

هذي عروبتنا وهذا بوقها

يدعو لشقّ طريقها انصارها

ستظل تعمل في التعصب سوطها

حتى تدق بنعشه مسمارها

الشعر الخالد

علّل كثيرون من الشعراء انفسهم بان حظ شعرهم الوطني الخلود، وذلك لما يفيض به من صدق العاطفة، وما يوشّحه من جمال الحلة واناقة اللفظ وموسيقى الاعاريض ورنّة القوافي، وحاجة الشعوب اليه وعدم استغنائها عنه في حالاتها العارضة.

وعندي، وهو رأي خاص، ما انا بمرسله جزافاً بل مكتفٍ بالتلميح اليه لضيق هذا المقال عليه، ان حظ هذا الشعر من الخلود قليل، فهو كالدواء يجرعه المريض ابّان دائه ثم ينحيه بعد شفائه، لا كالخمرة التي يظل ينتشي بها طوال عمره، ويعتّقها في الدنان لبنيه وحفدته من بعده، فأسير الامس اصبح اليوم حراً، ومريض اليوم قد يشفى غداً، اللهم الاّ ما كان من ذلك الشعر مثيراً للهمم وموقظاً للفضائل، من حب وشمم وكرم وشجاعة.

ما الشعر الخالد الا ذلك المنتزع من جوهر الحياة، من سويداء القلب الانساني، من غيبوبة العبقرية الشعرية ووحيها. هو فوزي في بساط الريح، والقروي في جلّ ديوانه وابو ماضي

في خمائله وطلاسمه والجمّ من شعره، شفيق في عبقره واحلامه وفرحات في احلام راعيه ورباعياته والكثير من شعره (الكلام عن شعراء المهجر)·

هذا الديوان

لا اراني، يا قارئي العزيز، وهذا الديوان في يدك وتحت باصرتك، محتاجاً ان اعجّل لك او اوجّهك الى بعض ما بين دفّتيه، فاخلُ فيه بشاعرك، وحادثه وسامره كما تشاء، في هذا الهزيع من وحيه وانخطافه·

حدّق الى رؤاه بعين الثقافة والادب، وانظر الى ما يزينها من جمال التعبير، والرونق في تأدية المعاني، ناهيك بطابع الخلود الذي وُسمت به، من حسن الديباجة، وجمال الوصف، وعمق الخيال، وتحليل العاطفة، ولمس اوتار النفس فترى تلك النقوش البيانية الشبيهة بروءى الاحلام جمالاً واشراقاً، وتحسُّ بموسيقاها تتغلغل في طيات النفس، وتلج مكامن الحس، فيستسلم الفكر الى سحرها منقاداً طائعاً،

وتقول معي انّ في دنيا الخيال والفن الحقيقة السامية المنشودة، وان لا حقيقة الا في الرؤى.

إسمع الشاعر يصف امه الطبيعة، اسمعه حيث رأى وسمع:

العود في ظل دوحه غرد
يقضي على الصادحاتِ بالعجب
والناي باكٍ لطول غربته
عن الفه في منابت القصبِ
والنهر تحت السماء منبسط
صادٍ الى جرعة من السُحبِ
والنحل حول الضفاف مجتهد
يغريه بعض الفراش باللعب
والزهر بالعاشقين مبتهج
وان بدا تارة كمكتئب

اسمعه يصف الحب في الخريف، في ذلك الفصل من العمر الذي تنير شمسه غير انها لا تدفىء، وتلتقي وتتعانق في النفس، كما على وجه الكون، ابتساماته الكئيبة العذبة ودموع الشتاء القاسية. فلا امل يبرق في العين، ولا حبّ

يختلج في القلب، ولا بسمة تبدو على وجه امرأة!

ولا بأس بان ترى دمعة الشاعر تترجّح في جفونه، فيقول:

بكيت فقال اصحابي اتبكي؟
فقلت مضى الشباب فهل أغني؟
ولو راح الهوى لأراح نفسي
من الصدّ المبرّح والتجني
ولكنّ الهوى باقٍ وقلبي
بمعترك اللحاظ بلا مجنّ
بأي وسيلة أُرضي الغواني
وشعري عندهنّ عزيف جنّ
غريبات اللسان يرينّ شكلي
وليس يرينّ معرفتي وفنّي
يُرقنّ على اديم الارض خمري
اذا لم يرضهنّ جمال دني
دعوا دمعي يسيل فما لمثلي
شعور المستريح المطمئنّ

وليس أحق من عيني بدمعي

واولى بالبكاء عليّ منّي !

اخبرنا هنري بوردو ان اللورد بروميل، امير الغزل والفتنة، اعدَم وجفّت في سنيه الاخيرة موارد رزقه، فعيَّن قنصلا لانكلترا في كاين تخفيفاً لمضض فاقته. فذلك اللورد الذي كان متعوداً حياة الاجتماع واللهو كان يضجر حتى اليأس، كالحديد يتأكَّل تحت الصدأ، لافتكاره بقضاء لياليه وحيدا، فصرف آخر ماله على ليالٍ ملأى بالانوار والازهار، كان يلبس فيها آنق حلله ويجلس كأنه بانتظار زائرين. وكان يخيّل لخادمه انه أُصيب بجنّة لمَّا كان يراه يقف فجأة ويحيي بظرف وكياسة ويبتسم، ثم يأخذ يرقص وحده، ويمينه ملتوية ملتفّة كأنها تضم قدّاً رشيقاً. فكان يستقبل بالفكر زائرين خياليين، وتمرّ امامه صفوة رجال انكلترا، واجمل نسائها كنّ يتقبّلن ذراعه ويدرن معه راقصات تحت تلك الثريات الساطعة، ولكن تلك الاخيلة كانت تضمحل وتختفي بانطفاء أُخرى تلك الشموع، فكان يسلم القاعة الى ضوء الفجر، ويرى نفسه وحيداً فيبكي!...

وقبل افتراقنا، سل الشاعر أن يعود القهقرى لحظة، الى ربع قرن مضى، ويعيد علينا:

يا نسيم الصبا مرحباً

. . .

يا طبيب القلوب والمقَل
داوِ يأس الغريب بالأمل
هل رجوع قريب قل أجل
ترضِ صبّاً كئيب كم صبا
يا نسيم الصبا مرحباً

. . .

الى اللقاء يا قارئي العزيز.
الى اللقاء يا اخي فرحات.

جورج حسون معلوف

سان باولو في كانون الاول سنة ١٩٥٤

حياة مشقات

اراقب في الظلماء ما الليل يحجبُ
واقرأ في الاسحار ما الله يكتبُ

وأستعرض الايام يومي الذي مضى
دليلٌ على يومي الذي اترقب

فلا تسـألوا عني وحظي فانّنا
لأمثال اهل الشرق والغرب مضرب

طوى الدهر من عمري ثلاثين حجّةً
طويت بها الاصقاع اسعى وأدأب

اغرّب خلف الرزق وهو مشرّقٌ
واقسم لو شرّقت كان يغرّب

وانفر من وادٍ لطودٍ كأنني
وقد بوّق الداعون للصيد ربرب

لئن غرّدت للشـاعرين بلابلٌ
فانّ غراب الشؤم حوليّ ينعب

وان كان علماً ثابتاً قول بعضهم

لكل امرىءٍ نجمٌ فنجمي المذنَّب

ومركبةٍ للنقل راحت يجرُّها

حصانان محمرٌّ هزيلٌ واشهب

لها خيمةٌ تدعو الى الهزء شدُّها

غرابيلَ ادعى للوقار وانسب

جلستُ الى حوذيها ووراءنا

صناديق فيها ما يسرُّ ويعجب

حوَت سلعاً من كل نوعٍ يبيعها

فتىً ما استحلّ البيع لولا التغرُّب

وراحت كأنّ البرَّ بحرٌ نجادهُ

واغواره امواجه وهي مركب

تبين وتخفى في الربى وحيالها

فيحسبها الراوءون تطفو وترسب

وتدخل قلب الغاب والصبح مسفرٌ

فنحسب انّ الليلَ لليل معقب

تمرُّ على صمّ الصفا عجلاتها
فنسمع قلب الصخر يشكو ويصخب
وترقص فوق الناتئات من الحصى
فنوشك من تلك الخلاعة نقلب

. . .

نبيت بأكواخٍ خلت من اناسها
وقام عليها البوم يبكي ويندب
مفككةٌ جدرانهــا وسقوفهــا
يطلُّ علينا النجم منهــا ويغرب
عليها نقوشٌ لم تخطط بريشةٍ
تظنُّ صباغاً لونها وهو طحلب
يغني لنا فيهــا الهواء كأنه
ينوّمنا والبردُ للنوم مذهب
فنمسي وفي اجفاننا الشوق للكرى
ونضحي وجمر السهد فيهنّ يلهب
وما أكلنا مما نصيد وطالمــا
طوينا لانّ الصيد عنا مغيّبُ

ونشرب مما تشرب الخيل تارةً
وطوراً تعاف الخيل ما نحن نشرب
حياةُ مشقاتٍ ولكن لبعدها
عن الذلّ تصفو للابيّ وتعذب

. . .

وقد نلتقي بعض الجميلات صدفةً
فيطربننا والمبدع الغيد مطرب
وكلٌّ مكانٍ فيه للحسن مرتعٌ
وللطرف ملهىً فيه للحب ملعب
وما تلتقي عينا فتاةٍ حبيبةٍ
وعينا فتىً الا لكوبيد مأرب
وهل انا الاّ شاعرٌ لان قلبه
فليس له من صولة الحسن مهرب
نفتني من المدن العواصم عزّتي
فرحت باطراف الولايات اضرب
اعاشر من لو عاشر القردُ بعضهم
لما ردّ عن دروين قبرٌ مقبّب

وانصت مضطراً الى كل أبلهٍ
كأني باسرار البلاهة معجب
واكره اشياءً رفيقي يحبها وارغب في اشياء عنهن يرغب
وارهب قطاع الطريق وربما
تعمدتُ اظهار السلاح ليرهبوا
فعزُّ الفتى الطاوي الفيافي مسدسٌ
كما انّ عزّ الليث نابٌ ومخلب
وما صين حقٌّ لا سلاح لربهِ
واضعف انواع السلاح التأدب
ولولا نيوب الاسد كانت ذليلةً
تُساط وتعنو للشكيم وتُركب
وكم ظالمٍ يستعبد الناس عنوةً
وحجته الكبرى الحسام المشطّب

. . .

اقول لنفسي كلما عضها الاسى
فآلمها صبراً ففي الصبر مكسب

لئن كان صعباً حملك الهمّ والاذى
فحملكِ منّ الناس لا شكّ اصعب

فلولا اباءٌ مازج الطبع لم يكن
لمثلي مجيءٌ في البراري ومذهب

ولولا رجائـــي ان تظلي بعيدةً
عن الضيم لم يوطأ برجلي سبسب

فلا تعذلي صحباً دروا بي وما عُنوا
بامري فهم مني الى الفقر اقرب

ولا تأملي من غير صحبي معونةً
فما تخصب الكفـان والقلب مجدب

ولا ترتجي الاخلاص من كل باسمٍ
ففي الباسمين المبغض المتحبب

ولو كان كل المظهرين ليَ الوفا
وفيين لم يعجزكِ يا نفس مطلب

. . .

عتبت على ناسٍ اضاعوا مودتي
وكلُّ كريمٍ خانه الصحب يعتب

فقد زعموا اني هجوت حبيبهم

وانى سأهجو غيره حين اخطب

ولست بهجاءٍ ولكنه الهوى

اذا قاد نفس المرء فالنور غيهب

انا من يرى أن الرياء معرّةٌ

وانّ خبيث القول في الصدق طيب

وما انا الا كالزمان واهلهِ

اعاف واستحلي وارضى واغضب

فايّ هجاءٍ في مقالي لعقربٍ

لـهُ ولعٌ بالشرّ انك عقرب

أذنبٌ اذا سمى الفتى الشيء باسمهِ

اذاً ربك الموحي لآدم مذنب

. . .

فيا نفسِ الاّ انت مالك واعلمي

بان كلّ برقٍ غير برقك خلّب

تعبت اذا استنظرت خيراً من الورى

ومستقطر السلوى من الصاب يتعب

أسلمى !

أسلمى الى مَ جفاكِ على طول وجدي بكِ
اعاني الردى في هواكِ واخجل ان اشتكي

. . .

أسلمى بلوت جناني فألفيتهِ مخلصا
فعللتـــه بالاماني فكانت كطبخ الحصى
ومهمـــا تزيدي هواني فحبُّك لن ينقصا
فهل رشفةٌ من نداكِ لهذا الفتى المضنك
فيشفى ببرد لمـــاكِ من الظماءِ المهلك

. . .

أسلمى تكاد ضلوعي تذوب بنار الجوى
أمـــا تبصرين دموعي أما تفهمين الهوى ؟ !
أأقضي بداء ولوعي وفـــي مرشفيك الدوا
أسلمى هبيني رضاكِ برشف الرضاب الزكي
وان متُّ متّ فداكِ وان عشتُ عشتُ لك

يا غصن سيف الله

من ذكر حمص رياضها وفلاتها
نفس المشوق تذوب في زفراتها
حمصُ التي حفظت بقية خالدٍ
ذخراً تصون بذكره عاداتها
ابناوءها الغرُّ الاماجد جودهم
كالغيث يحيي الارض بعد موتها
جمعوا الى دعة الحمائم همّةً
لـم تحوها العقبان في غزواتها
وبناتها الخفرات، ما عبق الشذا
الا ذكرنا مكرمات بناتها

(١) للجالية الحمصية في سان باولو فضلٌ على الوطنية لما تبديه من مناصرة الادباء الاحرار وفضلٌ على الانسانية بتشييدها الميتم السوري وعنايتها بالايتام على اختلاف اجناسهم، وقد حركت مبرّاتها العديدة لسان الشاعر بالمديح فنظم هذه القصيدة.

غيدٌ تحفُّ بهنَّ انوار الهدى
فيلحنَ كالاقمار في هالاتها

. . .

اشتاق حمص كأنني من اهلها
وانا الذي بسوى الكرى لم آتها
فلكم رقدتُ وبي ظماً لفراتها
وأفقت في شفتيَّ طعم فراتها(٢)
ولقد اراني عاشقاً متفيئاً شجراتها متنشقاً زهراتها
القلب منصرفٌ الى آمالهِ والنفس عاكفةٌ على شهواتها
طيراً بلا وكنٍ يطير مغرّداً وصوادح الاطيار في وكناتها
ولقد اراها والظلام مخيّمٌ والبرق يبسم فيه من بسماتها
ترنو الى العاصي بعين صبيةٍ فتانةٍ ترنو الى مرآتها
وكأنّ اخيلةَ النجوم وقد رست
في الماء اوسمةٌ على حسناتها

(٢) الفرات كل ماء عذب.

لا تشكُ نار جواكَ حال شبوبهـــا

فلربّ حلمٍ مطفئٍ جمراتها

الحلم من نعم الســماء لأنفسٍ

تتحمَّلُ الاثقالَ في يقظاتهـــا

يغني الفقير سويعةً تُنسيه مـــا

تُلقي الخطوب عليه من ويلاتها

ويضمُّ ارباب الغرام وبينهم

ارضٌ يضلُّ النحل في فلواتها

يا غمدَ سيفِ الله حولك ضجةٌ

تهوي الشموس لها بسيَّاراتها(١)

. . .

جمعت صدى قصف الصواعق في الدجى

بصدى زئير الاسد في غاباتها

الشرق فتّح ناظرَيــه فهالهُ

مرأى ذئاب الغرب في وثباتها

مدّت مخالبها اليه وأغرزت انيابها فيه لحدّ لثاتها

---

(١) سيف الله لقب بطل العرب خالد بن الوليد وهو مدفون في حمص.

فتحرّكت عضلاتُهُ متهيّجاً فتحرّكت دولٌ بممتلكاتها

الصين ناهضةٌ الى اعدائهـا والهند نافضةٌ غبار سباتهـا

والريف مقتحمٌ فؤادَ عجاجةٍ

كُلَفٌ بوجه الشمس من ذرّاتها

والشام بعض الشام هب محاولاً

فكّ القيود محطّماً حلقاتهـا

حورانُ حاضنة الرجال كبيرةٌ

بجهادها وكبيرةٌ بثباتهـا

في السلم مطعمةٌ جيوش ضيوفهـا

في الحرب آكلةٌ جيوش غزاتها

شبّ اللهيب بها ومدّ لسانهُ منها الى حلبٍ الى اخواتها

واذا المظالم اطبقت وتلبّدت

طلع الحسامُ مبدّداً ظُلماتهـا

. . .

أفَيَجهل المستسلمون جبانةً أن الشعوب حياتها بمماتهـا

أفيأنسون الى الفراش وحشوهُ

شوك المذلّة وهو كلٌّ نباتهـا

ماذا يقول المصلحون لزمرةٍ   ملأ الفساد قلوبها ورئاتها

ماذا نقول لهائمين بهائمٍ

في نهب امتهم وقتل سراتها

عشقوا العدوّة مغمضين جفونهم

عن قبحها مغضين عن سوآتها

متمحّلين لها على طغيانها   عذراً واعذاراً على سرقاتها

متعصبين تُذلهم وتُضلهم   ويرون كل الحسن في نياتها

كالمعز تُحسن ظنّها برعاتها   ودم الجداء على نيوب رعاتها

. . .

لا تعذلنّ على المدائح ان تكن

تُجنى ثمار الخير من كلماتها

انّ المديح على الفضائل مكثرٌ

منها مقلٌّ من عديد عداتها

واذا الكريم مدحته بقصيدةٍ   قرأ اللئيمُ الذمّ في ابياتها

فامدح كرام الناس مغتبطاً ودع

زمر اللئام تموت في حسراتها

ابناء حمص النازحون رسومها   وممثلو اخلاقها وحياتها

حملوا صفاء سمائها بقلوبهم   وفعالهم نشرت شذا جناتها

ان تلقهم تلقَ الرضى متدفقاً   كتدفق السلسال في جنباتها

اذا عرفت اللين في اخلاقهم   فلقد عرفت اللين في نسماتها

في كل كفٍ من كفوف كرامها

«عاصٍ» يفيض على بيوت عفاتها

ولقد يجود بخيلها بمبالغٍ   تحني الكرام لعدّها هاماتها

كرمٌ يدلُّ على العروبة مثبتاً   بثباته فيهم أدلّ صفاتها

انّ العروبة زهرةٌ ان تحتجب

قام الدليل لديك من نفحاتها

. . .

أميشّدي مأوى اليتيم وماسحي

من كلّ عينٍ ثرّةٍ عبراتها

فرضٌ على الشعراء نشر جميلكم

بين الشعوب على اختلاف لغاتها

انتم مفيضو رحمة العليا على الدنيا ونحن مرتلو آياتها

ومدامع الايتام افصح لهجةً   منا ومن اشعارنا ورواتها

تلك البنايـة لليتيم تحوّلت   في الخلد خير بنايةٍ لبُناتها

والخلد يوجده الشريف لنفسه

بصِلات هذي النفس لا بصلاتها

فاشرِ الخلود من الفقير ببدرةٍ اِمساكُ مجد المرء في إفلاتها

خلّ الصبيةَ للصبيّ ففيه من

نظراتها لهبٌ وفيكَ رمادُ

ودع التظاهر بالشباب غوايةً

هذا المشيب على الشباب حدادُ

دمعة رسالة على أمل

أحمامة الوادي اذا لم تسجعي
فمن الكآبة ما يكمُّ الألمعي
واذا سجعتِ فإنّ يأسك مُسكرٌ
عاطتكهِ الايام غير مشعشع
غني على تلك الغصون او اندبي
فلأنت مخلصةٌ وغيرك يدّعي
ولّى مُعلمك الهديل واقفرت
منه منازل انسه فتشجعي
بالامس طار الى وسيع فضائه
واليوم طار الى الخلود الاوسع
واحسرتاه على الصوادح بعدما
فقدت بمن فقدته افضل مرجع

(١) قالها في رثاء صديقه الشاعر المبدع المرحوم فوزي معلوف.

سكت الهزارُ فما تُلمُّ بمغلقٍ

بين الرياض وما تلمُّ بمصقع

وانا الشقيُّ بليتُ محتملاً اذى

دهري بما بُليت به، وبأفظع

ولعلّ اكبر ما بليت به نوىً آنستُ فيها كل قفر بلقع

انَّى يطيب لي الوجود وفحمهُ

في ناظريّ وجمره في اضلعي

متغربٌ عن موطني متغربٌ

عن معشري متغربٌ عن مربعي

اليوم اعرف مضجعي وغداً فلا

احدٌ من الثقلين يعرف مضجعي

يقضي احبائي فما ادري بهم

وسيجهل الاحياء منهم مصرعي

وتراب فوزي ما عرفت بدائه

وصُعقتُ لما قيل لي فوزي نُعي

قد كنت في سفرٍ اودُّ لو انقضى

لاعود مختصراً طويل المهيع

لكنني لمـــا رجعتُ وفوجئت

نفسي بذاك وددت لو لم ارجع

عيني على النباءِ الاليم وراحتي

فوق الجراح على فوءادي الموجع

ابكي واستبكي الكواكب هاتفا

باســم الفقيد اللوذعيّ الاروع

واعاتب البدر المنير لانه

مهما دهانا لا يحسُّ ولا يعي

يا بدر كنت سمير فوزي في السرى

فعلامَ لا تبكي على فوزي معي

اتظلُّ مبتسماً وقد عبس الردى

في وجهه المتورّد المتلمع

لو كنت تحترم الرفاق وقد هوى

اسنى رفاقك مطلعاً لم تطلع

. . .

أفتى القصائد كالنجوم نظامها

يزري بأحسن ما رواه الاصمعي

اسرعتَ في ترك الحياة ولم تكن
في غير ترك العار بالمتسرع

اني ذكرتك والعقارب بيننا تسعى وانت تدوسها بترفع
ترنو الى الواشي كأنك سامعٌ
وتردُّه ردّ الذي لم يسمع

ادبٌ وتهذيبٌ وصحة فطرةٍ
ونهى الحكيم وعفة المتورع

هذي الخلال الصالحات تجندت
لتردّ عنك فساد ذاك المجمع

ولو انّ في امكانها ردّ الردى
لوقتك عادية الحمام المسرع

. . .

بكت الرياضُ المزهراتُ هزارها
وبكى القريض على فتاه المبدع

وكأنني ارنو فأبصر زحلةً تبكي بمثل العارض المتدفع

وقع النعيُّ على حمائم دوْرها
وحمائم الادواح اسوأ موقع

وجرى لدى السربين ذكرك منشداً

فغدا هديلهمـــا انين تفجع

وتلفّـت الوادي يسائل اهلهُ   عن فرع دوحة مجده المتفرع

فاجابه دمعٌ عزاءك بعده   فلقد رمته الحادثات بزعزع

فتلهّـَب الماء النمير وسُفعت

بيض الرمال وحال لون اليرمع

وعلا الخرير واءِنهُ نوحٌ على

املٍ بصحراء المنون مُضيّعَ

. . .

احشـــاشتي لا تجزعي وتجمّـلي

اني اخاف عليك ان تتقطعي

ولتملاء السلوى الجوانح ولتلح

شمس العزاء على نجوم الادمع

ما ماتَ من ترك الحياة وذكرهُ

عطرٌ يطير مع الرياح الاربع

قف ماسرا

للشعر عنك تباطؤٌ وعياءُ ولناظميه تهيّبٌ وحياءُ
ماذا يقول لمثلك الشعراء يا شاعراً نصتت له الغبراء
وتنسّمت اخباره الجوزاء

انشدتَ شعرك خاشعاً كالعابد
تتأمل الدنيا بعين الزاهد
واذا بنات الوحي جوق نواهد
يرقصنَ حولك في الظلام البارد
ولحسنهنّ حرارةٌ وضياء

وتلوته بين الخمائل في الضحى
فهفا اليك هزارها مترنحا

* نُظمت في وداع «الشاعر القروي» اذ كان مزمعاً الرجوع الى الوطن.

انت الذي علمته ان يصدحا وسقيته مما شربتَ فما صحا

حتى انتشت بصداحه الورقــاء

سر حيث شئتَ مغرّداً ومرنما

وافتح بهذا الشعر ابواب السما

ومتى وصلتَ بهِ الى ارض الحمى

فاحذر شيوخ المسلمين فربما

حكموا عليه بأنه الصهبـاء !

حيِّ الشآم هواءها وترابها واسجد لكعبتها وقبّل بابهـا

واقرا السلام سهولها وهضابها وأعد الى شمّ الجبال شبابها

فلقد اضاع شبابها الغرباء

امّا «الغدير» فزره حين صفائه

وابعث اليّ بجرعةٍ من مائه

واذا سئلت عن المحب التائه فاذكر تمسّكه بحبل ولائــه

مع علمه أنّ الولاء بــلاءُ

قف حاسراً في ميسلون وحافيا

واسكب شعورك ادمعاً وقوافيا

واذا شجاك الجوُّ ازرق صافيا حرّك نفوس الراقدين سوافيا

تربدُّ عند هبوبها الارجاء

جُل في المدائن في الصباح وفي المساء

فعسى اجتيالك ان ينبهها عسى

وأثر بشعرك كل يومٍ مجلسا

ومتى بلغت دمشق صح متحمسا

يا أمُّ كم يشتاقك الابناء

. . .

أمُّ البلاد ومن يلطّف غلّها أغوى الوقاح بناتها واضلها

بيروت تستر بالتبرّج ذلها واللاذقية قد عرفت محلها

بين الاماء وكم هناك اماء

فهل السويداء الذليلة امجدُ والغيل خالٍ والغضنفر مُبعد

ام هل فلسطين الشقية اسعدُ وبنو فلسطين الاشاوس اعبد

يقتادهم «شيلوخ» حيث يشاء

جعل الفرنج بلادنا بريائهم دولاً تخاذلها ضمين بقائهم
هذا وترب ابي دليل دهائهم اما تشبّث بعضنا بقضائهم
فتعصّبٌ ومصيبةٌ عمياء

أرشيد عالج في الشآم امورها
وأبن لرهط الغافلين مصيرها
فاإذا أعدت الى البصائر نورها
وأزلت عن بعض النفوس غرورها
سبق الدُّعاء لها عليك ثناء

. . .

أرشيد ان تكرمك هذي الجاليه
فلأنّ سمعتها بدرّك حاليه
لا يُكبر الوطن الغنى ومواليه
فاذا ذكرت له القصور العاليه
ذكَرَ الرشيد تهزّه الخيلاء

اإن الذي يبني القصور بفلسه يبني ويحتكر البناء لنفسه

اما الذي يبني القصور بحسّه فبناؤه لبلاده ولجنسه
ولـهُ بمرأى الهانئين هناءُ !

عُد يا أُخيّ الى العروبة سالما
واذكر اخاكَ محارباً ومسالما
سأقيم بعدكَ للرجاء دعائما
واظلُّ في ليل الحوادث هائما
حتى تلوح النجمــة الزهراء

لديّ كتبٌ لقلّ مالي
مالي الى طبعها سبيلُ
اِن متُّ عنها يكون موتي
عن قصرٍ مالهم كفيلُ

قولوا لغورو

ذكرُ الفخار يحرّك الهمما فاذكر فخارك واسبق الامما
ما للشعوب على مفاخرها يومٌ كيومك مترعٌ عظما
للناس اعيادٌ اذا شبعوا يُحيون في إحيائها النّهما
ولعيدُنا عيد الذين قضوا جوعاً الى استقلالهم وظما
عاب الذي قد عاب ذبحتنا في ميسلون تعصباً وعمى
أفَما رأت عيناه من دمنا وجسومنا الاردنّ والهرما
أتموت دون عرينها اسدٌ فيعيبها من لو اهين نما...
قولوا لغورو كلما لمعت ازراره فاختال وابتسما
ميت العلى حيٌّ بمبدئه وعدوُّه ميتٌ ولو سلما
إنّ الذين ذبحتهم تركوا ذكراً يجدّد كلما قدما
مجد الشآم بميسلون بدا غرساً سقَوه دماءهم فنما

(١) انشدت في سان باولو في حفلة احيتها الرابطة الوطنية السورية تذكاراً لشهداء ميسلون.

ولسوف تبصر في القريب له ظلاً يعمّ العرب والعجما

. . .

يا ميسلون سُقيت كل ضحىً

دمع الغمام كما سُقيت دما

وكسيت بالنوّار مبرزةً للشمس وجهاً ضاحكاً وفما

ابطالك الشهداء ذكرهمُ يحيي الاباء ويبعث الشمما

ركزوا عليك لمجد امتهم في كل منبت عشبةٍ علما

لك في القلوب مصوّر ولهم رسمٌ على صفحاتها رُسما

كنا وكان لكل طائفةٍ حرمٌ فصرت لكلنا حرما

يسعى الحنيف اليك متضعاً ويحجك النصرانُ محترما

فلأنت قد وحدتنا املاً من بعد ان وحدتنا الما

ولأنت قد اوليتنا شرفاً صارت به ارض الشآم سما

العُرْبُ واقفة

دار العروبة دار الحب والغزل

هاجرت منك وقلبي فيك لم يزلِ

هلاَّ مننتِ بلقيا استردُّ بهـا

فجر الشباب فشمس العمر في الطفل

هذي الغريبة ما زالت تقبلني

والسم يقطر من انيابها العصُل

والله يشهد اني كلما رجعت منى اليك الصبا حملتها قُبلي

انت الحبيبة لا هذي التي زرعت

فيّ المشيب فلاح اليبس في السبَل

الحسن فيها جديدٌ وهو مبتذلٌ

والحسن فيك قديمٌ غير مبتذل

ما للعذول اذا حييته كرماً

ردّ التحية مزوراً كذي حوَل

أساءه انّ حبي ثابتٌ ابـدا

وانه قد اضاع الوقت في عذلي

أكان يرضيه مني ان اعقّ حمىً
ربّى الانام واغنى الارض بالرسل
وان اعين على تمزيق وحدته
مفرّقاً بين جفن العين والكحل
وان افضّل ايليا على حمدٍ
وان افاخر بالقديس كلّ ولي
وان اذمّ جموع العرب قاطبةً
وان اقدس ذكرى الغاصب النغل
ان كان هذا الذي يرضي العذول فلن
يرضى ولو ردّ ايام الفتوّة لي

. . .

العرب من ذا يذم العرب ايُّ فتىً
ما لم يكن قد بلاه الله بالخبل
ما سرّت الشام مذ دالت خلافتهم
وهل يسرُّ بفقد العز ذو خجل
فضلٌ لاسلافنا الاخيار نذكره
والفضل يذكر في الاسحار والاصل

لا تخدعنّك اصواتٌ يكبرها

بوق الغريب لغدرٍ بالوفاء طُلي

اإنّ العروبة في لبنان سائدةٌ

من اخمص البحر حتى مفرق الجبل

ان كان يسمع فيه همس فرنجةٍ

بيض الصوارم لا تخلو من الفلل

لسنا نجادل عمياً يطلبون على

ضوء النهار دليلاً والنهار جلي

او يلصقون بانسابٍ تباعدهم

عن اقرب الناس ارضاءً لذي دخل

او يجعلون من الاسلام داهيةً

دهماء تبتر ماروناً بسيف علي

او ينحتون كهوفاً من تعصبهم للعقل يقبع فيها غير منتقل

بل نرفع الحق مثالاً ليقصده

عشاق غرّته من اقوم السبل

فلينظر الناس هل من امةٍ فعلت

للمجد فعل رعاة الشاء والابل

العابدين آله المجد من قدمٍ والسابقين اليه اقدم الملل

والناقشين على الاسياف آيته

والشارحين معانيها على القلل

من يلقهم ونيوب الحرب دامية

يلق الضراغم في غابٍ من الاسل

ومن يلذ بحماهم حين يطلبه

ريب المنون ينل عهداً من الاجل

العرب واقفة يا شمس فانطفئي

والعرب زاحفة يا ارض فاشتعلي

في مسمع الدهر اصداء محدّثة

عن عاصف بصهيل الخيل متصل

جيش من الجن يمشي في طليعته

طيف المنية مشيَ الشارب الثمل

ثلّ العروش فكسرى منه منحسر

وقيصر قاصر الا عن الفشل

والشرق مشرقة بالنصر طلعته

والغرب منخذل في اثر منخذل

في بضعةٍ من عقودٍ غير بالغةٍ

قرناً تتوجت الغبراء بالعقُل

ما ان تشلّ بلادٌ يوقعون بها

حتى يصحّ بمسعاهم من الشلل

قدامهم خربٌ تمحى على عجلٍ

وخلفهم قلعٌ تبنى على مهل

من كلّ عالقةٍ بالجو يحسبها

جهل الفرنجة مرقاةً الى زحل

فيها الدروع الى جنب السيوف الى

جنب الطوال من الخطية الذبل

والخيل مسرجةٌ او غير مسرجةٍ

تدعو الكماة بصوت المارح الجذل

والقوم يتخذون السلم واسطةً للهو او لحديثٍ قاتل الملل

او ينشدون من الاشعار اجودها

واجود الشعر شعر الفارس البطل

كانت لمختلف الدولات دولتهم

كالمخّ للعظم والاحداق للمقل

وكان اجهل فردٍ من رعيتهم

في الفهم عند سواهم مضرب المثل

صفّوا العلوم من الاوهام اذ رجعوا

بالخارقات الى الاسباب والعلل

واستنبطوا عدداً من حاج عصرهمِ

ما مرّ في فكر اهل الاعصر الاول

سل عن معارفهم في كل مسألةٍ

اما عن الادب السامي فلا تسل

هم صاحبوه وهم ارباب دولته

في العصر هذا وما ولى وسوف يلي

كانت مكاتبهم في كل حاضرةٍ

ملأى بكل طريفٍ غير منتحل

بحرٌ اغاض غلاة الدين لجته

جهلاً فكاد يطمُّ الارض بالوشل

نار المحارق في اسبانيا اكلت

باسم الصليب نتاج العلم والعمل

كانما لهب النيران السنةٌ

تشكو الى الله جند الغيّ والخطل

فالتاركون لنا مجد الظبى تركوا

مجد اليراع فتمّ الارث للبدل

ارثٌ لعمرك ما كدنا نعزُّ بهِ

حتى اضعناه بالاهمال والكسل

لـم يبق منه لنا الا تذكرهُ

كم في تذكره من لذّة الامل

دار الزمان فصار الغرب مرتفعاً

في السائدين وصار الشرق في الخول

واجتاحت الشام اقوام مخمّنة

ان ليس في ذلك المرعى سوى الهمل

والذنبُ ذنبُ فريقٍ من ايمتنا

سود الصنائع والافكار والحلل

اغروا بنا كلّ محتالِ اخي طمعٍ

ذئبٍ وان يكُ يبدي رقة الحمل

قالوا بنا عللٌ شتى وما علموا
ان المشعوذ لا يشفي من العلل
انّا لنعبد اصناماً يحركها
ذاك الثقيل الخفيف الكف بالحيل
اقام في كل حزبٍ غافلٍ هُبلاً
وكم هنالك من حزبٍ ومن هبل
لم يكفه ان تفرّقنا الى شيعٍ
ففرّق البقعة الصغرى الى دول
ونحن في بلدٍ حرٍ تعبّدنا
اهواؤنا ونعيش العمر في جدل
كأننا لا نرى ماذا يراد بنا من جعلنا امما مقطوعة الوصل
اوطاننا وطنٌ فردٌ ونحن له
مهما يكن سعَفٌ للباسق العبل
انّا لأحوج اهل الخافقين الى
توحيد آمالنا والسعي والقبل
ما قطرة الماء من شيءٍ بمفردها
والكلُّ يعلم شأن العارض الهطل

حبيب الله !

هوى في مهاوي نفسه بعد ان سما

ولم يسمُ إلاّ ريثما مال وارتمى

«اذا ملك لم يدعم (العلم) ملكهُ»

فليس بمغنٍ عنه ان يتعمما

توّهم انّ الدين ارسال لحيةٍ

فاضحك ربّ الدين مما توهما

ومال على الالقاب فاختار خيرها

ليستر بالالقاب جهلاً مجسما

كأن (حبيب الله خادمَ دينه)

يحاول عمداً ان يثير التهكما

---

(١) كان الشاعر الكبير امين ناصر الدين قد نشر قصيدةً بليغةً اسماها «عاقبة امان الله» وذلك على اثر سقوط هذا الملك عن عرش الافغان، وقد زعم الشاعر ان سبب سقوطه كان انحرافه عن جادّة الاسلام. فلما سقط «باشا سقا» مغتصب العرش عارض صاحب «الديوان» الشاعر ناصر الدين بهذه القصيدة.

بكينا لتحقير الكريم وإنه
ليضحكنا مرأى الحقير مكرّما

فمن يكن الاجرام فيه سليقة
يظلّ ولو حاز الخلافة مجرما

ومن حسب الاسلام ثوباً وعمرة
فقد حسب الاسلام ضرباً من العمى!

. . .

هنيئاً لشعب ناهض اغضب اللحى
على انــه ارضى النبيّ المعظما

أبى ان يرى فوق الاريكة جاهلاً
يخوض به ليلاً من التعس اهيما

واشفق ان يقتاده متعصب يعوّج من اخلاقه ما تقوّما

وما خدعت عينيه تقوى مزيفة
ولا غيرة ممسوخة تضحك الدمى

فهزّ به العرش الذي لم يكن له
ودحرجه عنه مهاناً مذمما

وهبّت رياح الحق من كل جانبٍ

تذيع كلاماً جل عن ان يقو

اذا الدين ماشى العلم كان قلادةً

فان عاقه في سيره كان ادهما[1]

اذا الشيخ والقسيس لم يكرما الحجى

واحكامه فليبراءِ الدين م

اذا انت ادّيت الفرائض كلها

ولم تحوِ حسن الخلق لم تكُ م

كلامٌ من الوحي الذي يملأ الورى

حياةً ويعليهم فصيحاً وا

. . .

سلامٌ على الاسلام ايام مجدهُ

طويلٌ عريض يغمر الارض و

نما فنمت في ظله ِ خير أمةٍ

اعدّت لنصر الحق سيفاً و

(١) الادهم القيد.

فكانت لها الدنيا وكانت لها العلى

وكان بنوها في الدياجير

وكان زمام الخافقين بكفهـــا

ولم يكُ لا هذا ولا ذاك

جوادان في المضمار حرّ مطهمٌ

يســابق للعلياء حراً

كريمان ما زالا على ما دهاهما

يودّان لو يرتدّ عهدٌ

اذا ذُكر الاســلام حنّاً صبابةً

وان لمحا طيف العروبة

فواهاً على الاسلام واهاً على الهدى

وواها على نبراسه كيف

تحوّل تاج العزّ نيراً واصبحت

ثمالة كأس المجد صاباً

واضحت بلاد المسلمين واهلها

وخيراتها للناس نهبـــاً

ترى العربيّ المدعي البأس والحجى

يطأطئ حتى لليهوديّ مرغما

به عللٌ من جهله كنه دينهِ تكاد اساميهنّ تملأ معجما

. . .

نغار على الاسلام حتى كأننا بنوه ونأبى ان نراه مهشما

وهل هشم الاسلامَ الا شيوخهُ

وهل غيرهم يبغي له الجهل مرهما

وهل غير خدّام الديانات زمرةٌ

ترى في خسار الشعب كسباً ومغنماً

لهوا عن لباب الدين ــ جهلا ــ بقشره

وأفتوا بتقليم الحجى كلما نما

وسدوا طريق الفكر عن كلّ مؤمنٍ

وألقوا نسيجاً فوق عينيه اقتما

فصار يرى ما حللوه محللا وصار يرى ما حرّموه محرما

وصار غريقاً لو رمى مخلصٌ له

بحبل أروه الحبل ثعبان ارقمـا

يخاف اذا مرّ النعاس بجفنه ِ

بغير رضاهم ان ينام فيأثما

ويخشى اذا لم يرضهم شكلُ ثوبه

ولونُ حذائَيه عذابَ جهنما

ومنّ نكبات الدهر أن نفوذهم

يعمُّ عديـم العلم والمتعلما

واكبر من كبرى البليات حاكمٌ

اذا هلّ شهر الصوم صام وصوّما

فلم يبق في كل المدينة حانةٌ

ولم يبق ِ في كل المدينة مطعما(١)

. . .

وليل ٍ عقدنا فيه للشعر مجلساً

فأوحى الينا من معانيه ماسـما

---

(١) هذا ما فعلته حكومة الشيخ تاج الدين سابقاً وهذا ما فعله اديب الشيشكلي أمس وهذا ما تفعله حكومة الباكستان اليوم. والظاهر ان الحكومات الاسلامية تريد ان تضمن لرعاياها نعيم الدنيا والاخرة ! . . .

ل لنا عنه الاحاديث مثلما

يطيب لبعض الطير ان تترنما

لانٌ ينظم الشعر مجهداً

وقلنا فلانٌ ينظم الشعر ملهَمـا

امروءٌ منا اليكم قصيدةً

كساها ربيع الشام وشياً منمنما

ها يا ناصرَ الدين فاشتهى

محبّوك لو ذاقوا الحمام مقدّما

رفوا عمن يُعلُّون زلّةً

ولم يسمعوا فيمن يحبّون لوّما

ثامتٍ غاوٍ راى فيك حجةً

على انّ قطر الشام لن يتقدما

قائلٍ «لو سادت الشام نفسها

لظلّ ظلام الجهل فيها مخيّما

ن منا ان نُضمّ (اليهمِ)

وان نطلب (الشيخ الكبير) ليحكما

فتى (منهم) اديبٌ مهذبٌ

رمى كلُّ من ترمي القناع بما رمى

كانت الاصباح (فيهم) عوابساً

فيا ليلهم هيهات ان تتبسما»

يعنِ الاّ المسلمين فلم اجد

من القول بدّاً «ليته كان ابكما»

آلمت حراً كبيراً فوءاده

موءاخذة المجموع بالفرد تمتما:

د بريء الاحرار من داء شاعرٍ

تقلّبه ريح التعصُّب كيفما..

ناه ديناراً وقد غرّنا الطلا

فما ذنبنا انّا وجدناه درهما»

ل حديث القوم عنك فلم تكن

ترى منجداً الاّ يعارض متهما

ك لم تتبع هواك وليتني

ارى لك عذراً عند شانيك مفحما

. . .

فيا شاعر الشام الذي اضحك العدى

ولكنه ابكى المحبين عندما

أمثلك من يعمى عن الحق طرفه

وفيك حجىً يكفي الورى لو تقسما

فأين (حبيب الله) اين خميسهُ

«يُثير عجاجاً يترك الصبح اسحما»

وهل جهل الرحمن فضل حبيبه

فخلاّهُ لــم يفتح لنصرته فما

وهل كفر الافغان حتى تألبوا

عليه وما اهتموا بدينٍ به احتمى

وهل تدخل الاديان في كل تافهٍ

من الاكل والملبوس والريّ والظما

وقد شمّرت (مصر الفتاة) فهل ترى

«صفيّة» تبغي ان تضمّ وتلثما(١)

---

(١) قال الشاعر ناصر الدين:

ومن قصّرت ثوباً لتبدوَ ساقها فاقصى مناها ان تُضمّ وتلثما

فاحتج عليه صاحب الديوان بصفية هانم حرم زغلول باشا وهي على سفورها تلقب «بأم المصريين» نظراً لفضيلتها وطيب اخلاقها.

تغرّب تجد في الغرب في كل محفلٍ

اوانس يفضحن الجمان المنظما

فانك ان عاينت الغيت روضةً

وانك ان اصغيت الغيت منجما

وان يكُ بين السافرات فواجرٌ

ففيهنّ من يحكينَ بالطهر مريما

كذلك ربات الحجاب ومن يرى

لطيفة انقى من سواها واكرما(١)

وقد فجعتنا بالذي كان موتــه

لقلب العلى والمجد جمراً مضرّما

اذا العلم والتهذيب لم يكبحا الهوى

ولا الجحفل الجرّار لا يمنع الحمى(٢)

---

(١) لطيفة حرم المرحوم فوزي الغزي وقد قتلت ــ على تحجبها ــ زوجها لاسباب معيبة .

(٢) قال الشاعر ناصر الدين:
ولولا حجاب الوجه يمنع فتنةً لما استطاع الاّ القرم ان يمنع الحمى
ونحن نوءكد لجنابه ان حجاب الوجه كان من الاسباب التــي اعانت «لطيفة» على غيّها .

حجاب الوجه الا سخافةٌ

تعلمها الانسان في مـا تعلَّما

قومٍ لم تكن غير عادةٍ

لقومٍ طوَوا في الدهر عاداً وجرهما

سريان الداء والداء معضلٌ

اذا لم يعاجَل بالدواء تحكّما

(امان الله) لا في اقتلاعها

ولكنه في طيشـه حين اقدمـا

امرأً شاءه غير آبهٍ

لعادات شعب بعضها خالط الدما

د مجرى النهر يوماً ولم يكن

اعدّ له مجرىً جديداً تندّما

بناءٍ لم يؤسّسه ربُه

على صخرة العلم الصحيح تهدّما

الفتى من زخرف الغمد واكتفى

على حين خلّى النصل فيه مثلّما

. . .

الشعر كلُّ الشرق حصنٌ مهدّمٌ

تهاجمهُ الاعداء أنَّى وحيثما ...

سالم اللهُ العمائمَ واللحى

اذا لم يسالمنَ المليك المرمّما

كيف لا يحمد الحياةَ ويثني

من يناغي بعد الوليد الحفيدا

في لُيَيلى أرى طفولة ليلى

فكأني اعيش عمراً جديدا

ضيف المسيح

منقذُ الشعب من دواعي عذابه
لا تكون الدموع كلَّ ثوابـه
جدّدوا للحسين ذكرى مذاكيه ــ وذكرى سيوفه وحرابه
يوم روّى رمل الحجاز بقانٍ
أنبت المجد ناصعاً في رحابـه
فـي خميسٍ يقوده من بنيه باسلٌ يشتري العلى بشبابه
لا تسل (فيصلاً) عن الحرب واقرأ
بعض آياتها على قرضابـه
واسأل الشيخ كيف لاقى المنايا
فاغراتٍ اشداقها غير آبـه
في اذكار التحرير شبه جزاءٍ للذي اختطه على اتعابـه

١) أنشدت في الحفلة التأبينية التي احيتها الرابطة السوريـة الوطنية للمغفور له جلالة الملك حسين بن علي في سان باولو مساء ٢٧ تشرين الثاني ١٩٣١.

الذي رمّم البناء مزيلا عنكبوت الخمول عن اعتابه
الكريم الكريم من ضمّ في التاريخ امجاده الى احسابه

. . .

قد اصيب الحمى البعيد وانّا
اوّلُ القادرين هول مصابه
صادق الود صادقٌ وهو ثاوٍ
بين اهليه صادقٌ في اغترابه
امة العرب أمّت القدس تبغي
نور وجه الحسين قبل غيابه
فالتقت عند نعشه وهي كانت
في الملمات تلتقي عند بابه
يسأل الناس حائرين ألحمٌ
أم حديدٌ هذا الذي في ثيابه
اهو الملك في السرير مسجىً
ام هو السيف مغمدٌ في قرابه
لا رعى الله يا ابا الصيد دهراً
ليس للفضل قيمةٌ في حسابه

دار دولابه فطارت الـــى العرب شظايا البلاء

ان فـــي نقطة السياسة بحراً مغرقاً كل صادقٍ

. . .

لم تكن غضبة الحسين لتاجٍ ما به من نواه ايسر

ذلك التاج كان قشرة مجدٍ لا تريد الاحرار غير

انما يغضب الوفيُّ لغدرٍ قد توالى عليه من

عاهدوه ولم يفوا وهو ممن نزّه العهد جدُّهم

مزّقوا ملكه فلم يرضَ عنهم

ايُّ ليثٍ يرضى بتمزيق

حطّموا سيفه فزادت عليهم

جرأة الليث بعد تحطيم

موطن العرب مسجدٌ كيف يرضى

ان تسود اليهود في محرا

. . .

هل درى الانكليز اصحاب اسرائيل والتائهين

انهم واليهود يبغون ملكاً لا يساوون حفنةً

انّ شرّ الانام بائع قطرٍ آهلٍ وهو ليس

انّ في الحُرب عزّةً واباءً

يرجعان المزري بهم لصو

ان موت الحسين احيا رجاءً اظهرته الوفود يوم احت

لن ينال الباغون من دار عدنان لهم موطناً وفي الد

لا يتمّ البنـــاء يرفعه الظلم — وللعدل ما أربٌ في ح

. . .

يا حفيد الرسول نم مطمئناً

في ضريحٍ جبريلُ من حج

انت ضيف المسيح في المقدس الجامع خير الرفات تحت

---

(١) هكذا كانت اوهامنا قبل ان ازالها الملوك والزعماء
انفسهم، فالحمد لهم والشكر اذ نزعوا الغشاوة عن عيوننا وأرو
ليسوا في الدنيا شيئاً...

يا رسول الله

غَمَرَ الارضَ بأنوار النبوّه كوكبٌ لم تدرك الشمس علوّه

لم يكد يلمع حتى أصبحت
ترقب الدنيا ومن فيها دنوّه

بينما الكون ظلامٌ دامسٌ فُتحت في مكةٍ للنور كوّه

وطما الاسلام بحراً زاخراً بأواذيّ المعالي والفتوّه

من رأى الأعراب في وثبتهم
عَرَفَ البحرَ ولم يجهل طموّه

اِنّ في الاسلام للعرب علىً
اِنّ في الاسلام للناس أخوّه

فادرس الاسلامَ يا جاهلهُ
تلقَ بطشَ الله فيه وحنوّه !

. . .

* أُنشدت في حفلة عيد المولد النبويّ، في سان باولو.

يا رسول الله إِنّا امةٌ زجّها التضليل في أعمق هوّه
ذلك الجهل الـذي حاربته لم يزل يظهر للشرق عتوّه
قل لأتباعك صلّوا وادرسوا
انما الدين هدىً والعلم قوّه !

الحفيدة الاولى

زهوت بليلى طفلةً وصبيّةً
وشاءت مجاراتي فجاوزتِ الحدّا
زهت بي اباً واستصغرت شأنَ زهوها
فزادته لما صرتُ لابنتها جدّا !

بقعة في السهل

شاعرَ الاحرار في هذي المهمة
محفلُ الاحرار يبغي أن تؤمّه
إن يقل ما ميسلونٌ جاهلٌ
قل منار الفخر في تاريخ امّه
حرّة عذراء زُفت للعلى بدم الاحرار منا مستحمّه
بقعةٌ في السهل نالت شرفاً
رفع السهلَ على أرفع قمّه
لو اخذنا المجد من تربتها ونثرناه على الكون لعمّه
حبذا الفيحاء ما أجملها
حبذا الرّيحان ما أطيبَ شمّه
موطن الانسان امٌّ فاذا
عقّهُ الانسانُ يوماً عقَّ امّه

---

* أُنشدت في حفلة رفع الستار عن تمثال البطل الشهير يوسف العظمة ليراه جمهور العرب في سان باولو قبل ارساله الى سوريا.

فاذكر الغوطةَ والارز كما

تذكر الرحمان في كلّ ملمّه

وانبذ الخائفَ واعلم أنهُ

افعوانٌ نافثٌ في الخلق سمَّه

لو رأى في النجم حرّاً مخلصاً

لبني عدنان لاستوجب ذمّه !

. . .

قل لمن يتّهم الاحرار صَه اِنهم حازوا من المجد أتمّه

اِنّ لبنـانَ لمن يمشي على

ظبة السيف لكي يكشف غمّه

لا لمن ارداه ذلاًّ وأسىً فاذا حرّكته حرّكتَ رمّه

ذلك الشيخ الذي الارز لهُ جبّةٌ ضافيةٌ والثلج عمَّه

ولذكرى عزّهِ في ذلّهِ لمعُ برقٍ في ليالٍ مدلهمّه

نفتح القلبَ لـذكراه كما

يفتح الزهرُ لنور الشمس كمَّه

كان لولا فئةٌ مغرضةٌ من بنيه أبعد الاقطار همَّه

سـائلوا التاريخ عنه والوغى   للوغى عهدٌ وللتاريخ ذمَّه

هو بكر الشـام اغروه بها   وهي امٌّ منعوها ان تضمّه!

ليس يدعوه الى البعد عن الشام شيءٌ ودواعي القرب جمّه

فرّقت شملهما ايدي العدى   واذّكار الوقعة الحمراء لمَّه

. . .

شاعرَ الاحرار قصّرتَ وكم
قصَّرت في شعرها عنكَ الائمّه

لم تصف حرّاً شهيداً سيفهُ
شاد مجداً بدم الابطال دمَّه

يـا لقومي أنصفوا شـاعركم
ايّ نسرٍ يستطيع الحومَ ثمّه

كلّ درٍّ صدَفٌ في بحر من
ملأت افعالهُ بالـدرّ يمّه

ليس شعري فيه اِلاّ زهَرٌ
جئتُ ألقيه على التمثال ضمَّه!

زينة الزينه

يا عيوناً تبعث النجوى الدفينه
ليتنا نكشف سراً تكتمينه

ليتنا ندري أعطفٌ ما نرى
فيكِ للصب المعنّى أم ضغينه
كلما ابصرتِ حراً ساخراً من ارقّاء الهوى تستعبدينه
انتِ واللهِ رحىً اءِني أرى بين جفنيك فوءاداً تطحنينه !

. . .

ما عرفنا أنّ حسني مغرمٌ قبل ان لوّحت النارُ جبينه
ربّ صبٍّ كاتمٍ اوجاعهُ وخلّيٍ يُسمع النجم انينه
كان حسني بلبلاً حراً اذا
طار ضاقت عن جناحيه المدينه

* أنشدت في خطبة الصديق الشاعر حسني غراب، في سان باولو، في ١٧ كانون الاول ١٩٣١

فغدا مستعبداً يرنو الى قفص الحبّ بعطفٍ وسكينه
تيمته نـــظرةٌ ســـاحرةٌ
بدّلت دنياه في العيش ودينه
ومضت تمخر في مهجتهِ مثلما تمخر في البحر السفينه

• • •

يا عروس الشعر هذا شاعرٌ باسطٌ للحبّ والحسن يمينه
فاقبليهـــا وارحمي صاحبها وامنحيه رغد العيش ولينه
واجعلي البيتَ المفدّى زينةً واجعلي نفسكِ للزينة زينه
واعذري الشاعر دوماً واعلمي أن للشاعر قلباً كالعجينه
فاكتبي في قلبه آيَ الهوى تقراءي في عينيه ما تكتبينه

يا ابن الحسين

بين السهول تفجّعٌ وبكاءُ   وعلى الجبال كآبةٌ خرساءُ

والرافدان الضاحكان غشتهما   لما نُعيت غمامةٌ سوداءُ

يا قائد العرب العظيمَ تركتها

في الحرب وهي ضعيفةٌ عزلاءُ

كانت تُعدّكَ للفخار فخانها

قدرٌ أعدَّكَ للردى وقضاءُ

من للعروبة بعد فيصلها الذي   دُحرت ببرق فرنده الظلماءُ

من للعراق وللألى علمتهم   أنَّ الحياة تكاتفٌ ورجاءُ

واهاً على الحلم الجميل تزيلهُ

عند الصباح اليقظةُ الشنعاءُ

وعلى امانينا السمان تسيغها   امنيةٌ لعداتنا عجفاءُ

---

* أُنشدت في الحفلة التأبينية التي احيتها الجالية العربية في سان باولو لجلالة المغفور له الملك فيصل الاول ملك العراق.

شاؤوا لنا شيئاً أضرّ على العلى

منهم فتمّ لهم بنا ما شاؤوا

مات الذي تحيا النفوس بقربهِ

وتموت حول سريرهِ الاهواءُ

ربٌّ الاريكة واللواء ومنّ له بين الضلوع اريكةٌ ولواءُ

خاض السياسةَ والوغى وسلاحه

في الساحتين مهنَّدٌ ودهاءُ

حتى اذا ابتسم الزمانُ لنصرهِ

فُجعت به العربية العرباءُ

تبكي المدائنّ في الجزيرة زينها

جزعاً وتبكي ليثها الصحراءُ

وقع المصابُ على الحجاز فأعولت

منه الرياض واجهشت صنعاءُ

وتردّت الزوراءُ ثوب حدادها

وتعثرت بدموعها الفيحاءُ

خطبٌ كعاصفة السموم تولدت

للحزن منه عواصفٌ هوجاءُ

شَمَلَ المضاربَ والقصورَ وعنده

أنّ المضاربَ والقصورَ سواءُ

. . .

يا ابن الحسين ويا ابن مغنية العلى

بمن انجلى الديجور حين أضاءوا

وهمُ الأعزّةُ بالعروش ودونها

وهمُ الملوكُ الصيدُ والامراءُ

مـا كان أسرعَ سيره وأجلّهُ

نجمٌ أطَلّ له سنىً وسناءُ

جاز السهى وخبا ولكن بعدما

فتنَ النواظرَ نورهُ الوضاءُ

أمن الحجاز الى الشآم بوثبةٍ

فيها الحياة وتحتها الاشلاءُ

ومن الشآم الى العراق بأختها

أبوثبتين المجدُ والعلياءُ ؟ !

هذا هو الطيران للمعتزّ بالطيران بل هذا هو الاسراءُ

أمَّا البراق فقد ملكتَ عنانهُ

إنّ البراقَ عزيمــةٌ ومضاء

. . .

لله ليلٌ مرَّ لا لنجومهِ

يَقَظٌ ولا لجفوننا إغفاءُ

قطع النعيُّ به طريقَ سرورنا

وتقطعت من هوله الاحشاءُ

نمشي بغير هدىً يسائل بعضنا

بعضاً : أصدقٌ هذه الانباءُ

أم هنَّ ترويعٌ يراد بنشرهِ

في الناس خدع الناس أم إغراءُ ؟

ليت الاشاعب يحسنون بكذبةٍ

كذبوا مراراً قبلها فأساءوا !

تاللهِ ما كذبوا وقد كذب الهوى

وجرى القضاءُ وحلَّتِ الدهياءُ

ومضى الذي كنا نروم بقاءَهُ

وتلاشت الآمالُ والآراءُ

طاروا بهِ في الجوّ فانقشعت لهُ

كدرُ الغيوم وعانقته ذُكاءُ

وسمت مروّعةُ النسور بنعشهِ

فاستبشرت بجواره الجوزاءُ

ولو انهم جعلوا المجرّةَ قبرَهُ

لاستقبلته نجومها الزهراءُ

مهلاً عيونَ الليل لا تتوقعي

ما لا يتمُّ وفي الرجال دماءُ

نحنُ الكرام الاسخياءُ بمالنا لكننا باءِبائنا البخلاءُ

لن تسلبي الشرقَ الحزين ذخيرةً

هي كلُّ ما تركت له الغرباءُ

دارُ السلام أحقُّ منكِ بعاهلٍ

بطلٍ نمتهُ سادةٌ شرفاءُ

هو ساد فيها العزّ وهو سعادةٌ

وأزال عنها الذلّ وهو شقاءُ

وهو الذي رفع اسمها وأحبها حبّاً تذوب بحرّهِ الحوباءُ

فاإذا هي احتضنته كان له بها انسٌ وكان لها به استغناءُ

. . .

أبَني العراق تجلُّداً لمصيبةٍ عمياءَ نحن بحملها شركاءُ

نزلت بنا كأشدّ ما نزلت بكم

لا البرُّ لطّفها ولا الدأماءُ

ما احقر الأبعادَ عند عروبةٍ

تغذو النفوسَ بحبّها الشعراءُ

هذي هي الامّ المحببة التي يكتنَّ تحت جناحها الابناءُ

فلنعلها ولنعتصم بلوائها تهنِ الصعابُ وتسهل الارزاءُ

ولننصرِ الملك الجديدَ فانهُ غازٍ وقد لا تخطىء الأسماءُ

فالشبل فيه من اللبوةِ عزّةٌ ومنَ الهصور شجاعةٌ واباءُ

كالربيع غدًا

يا عصبةَ الادب المفدّى بالغتِ في التوديع جدّا
إِنّ الفراق اذا دهى منا الجسوم فما تعدّى
ارواحنا أئتلفت وشادت بينها والهجر سدّا
لا يحزننكم البعادُ فإِنّ بعد الجزر مدّا
والماءُ، ماءُ البحر سافر عنه ثمَّ اليه رُدّا
وهبوا الردى عند الذهاب او الاياب لنا تصدّى
كف الذبول الى ازاهير المودّة لن تُمدّا

• • •

قولوا لمن جهل الإِباءَ وفي طريق الذلّ جدّا
نبني لمجد الشام ما نبني فحاذر ان تهدّا

* أُنشدت في الحفلة الوداعية التي احيتها (العصبة الاندلسية) للناظم ولصديقه الشاعر القروي قُبيل سفرهما الى الارجنتين بدعوةٍ من الجالية العربية فيها للاشتراك في تأبين المغفور له الملك فيصل الاول ملك العراق.

ونُعِدُّ بغضاً للبغيض وللودود الحرّ ودّا
ونسير في سبل الصراحة لا نرى منهنَّ بدّا
ونجابه الاخطار حتى يبلغ الوطنُ الأشدّا
سيان قلَّ عداتنا أو اصبحوا كالرمل عدّا

. . .

إخواننا مهما يكن هذا القضاء لنا أعدّا
انّا نودعكم ولا نخشى الزمانَ اذا استبدّا
ليست قلوب المخلصين تخاف بعد الهجر صدّا

على ظهر «استوريا»

جلستُ وحدي وآمالي مبعثرةٌ
والركبُ مجتمعٌ زوجين زوجينِ
وكلما جال طرفي صحتُ منتفضاً
يا قرّةَ العين ما أناكِ عن عيني
كأنما انا في بحرين قد وصلت
هذا بذا ظُلُمٌ من وحشة البينِ
و«عشتروت» سماءٌ لو وُجدتِ بها
لكنتُ منكِ ومنها في سمائينِ (١)

على ظهر «ارلانزا»

رباه رفقاً بمخلوقٍ رميتَ بهِ
في الارض تسعدُهُ طوراً وتشقيهِ

(١) عشتروت الاسم العربيّ للباخرة (استورياس) التي حملت الناظم الى الارجنتين، و (إرلانزا) اسم الباخرة التي اعادته الى البرازيل.

ما أن تفيضَ لتسليمٍ مدامعهُ

حتى تفيضَ لتوديعٍ مآقيهِ

قد حاربته الليالي الغُدرُ عاصبةً

عينيه تعصر صابَ اليأسِ في فيهِ

وقد تجاوز حدَّ الاربعين وما

ينفكُّ يُقذَف من تيهٍ الى تيهِ

سان باولُ في ساحاتها

وعلى السطوح وفي الطريق

بحرٌ من الغادات من لي

أن اموتَ بهِ غريق !

سلامٌ وصلاة

نامت الشام تمنّيها الحياةُ واستفاقت واما نيها رفاتُ

مات مُجري الدم في أعراقها

مُنبتُ الآمال والارض مواتُ

ناشدُ البغية والعقل هدىً ناشر الفكرة والعزم أداةُ

ضاربُ الفيلق بالفيلق في نكبةٍ تصغر عنها النكباتُ

يومَ لا يبدو من القوّاد ما فيه للعدل وللعطف سماتُ

يومَ لا يُسمع للفيحاء صوتٌ ولا تعلو للبنانَ شكاةُ

يومَ دور الطود مَحّت اهلها

يوم غصَّت بالجياع الطرقاتُ

يوم قطر الشام كالتائه في مهمهٍ تعول فيه السافياتُ

---

* أُنشدت في الحفلة التأبينية الكبرى التي احيتها الجالية العربية في بوينوس ايرس لجلالة الملك فيصل الاول، وقد حضرها الناظم ورفيقه الشاعر القروي بدعوةٍ خاصة جاءتهما من تلك الجالية الكريمة؛ وكان ذلك في مسرح سرفنتس في مساء الثامن من شهر كانون الاول سنة ١٩٣٣

كلما لاحت لهُ بارقةٌ بنجاةٍ بعدت عنه النجاةُ

. . .

ايها المغمد في جوف الثرى
فيصلَ العرب دهتكَ الداهياتُ
إنّ هذا الصارمَ البتّارَ من
قُضُبٍ أغمادُهنّ النيّراتُ
لغةُ الضاد بكت عيناتها
وانحنت حزناً عليه الألفاتُ
شبّت اللوعةُ في امّ القرى
ومشت في الحرمين الحسراتُ
وشكا صنّين والكرمل نيرانَ احزانٍ شكاها عرفاتُ
بردى والنيل اِلفا شجنٍ تغرق الدجلةُ فيه والفراتُ
ووراءَ البحر من امتّهِ فرَقٌ في كل قطرٍ وفئاتُ
ثقل الخطب عليها فجرت بين حرّى الزفرات العبراتُ

. . .

ويحَ ارض الشام ما أشأمها
كيف تنقضُّ عليها الحادثاتُ

كلما خطت لها آمالها آيةَ الفجرِ محتها الظلماتُ

من يعزّيها وفي حيزومها

قائم السيف وفي القلب الشباةُ

دارُ غسانَ التي ارهقها

من بني طورانَ حكامٌ قساةُ

والتي أثكلها ابناءها ساسةٌ محترفو القتل جناةُ

والتي هانت فظُنَّت انها ميتةٌ سارت بمنعاها النعاةُ

طار بالعرب الى نجدتها والمناطيد العرابُ الصافناتُ

بيضه الحدبُ عوارٍ والربى بالذي ينهلُّ منها كاسياتُ

قرُبت في عينه الفيحاءُ وازدهرت لما اراد الفلواتُ

واذا الحقُّ تجلَّى لفتىً سهلت بين يديه العقباتُ

. . .

ايها الباني لنا الملكَ على صخرة الوحدة فدّتك البُناةُ

ومعيدُ المجد والعزّ الى امةٍ حمّلَها الذلّ الطغاةُ

أنت ألقيتَ نواةً في ثرىً طيّبٍ مطّردٍ فيه النباتُ

فانتظر عقداً تجدها دوحةً

اعظم الادواح في الاصل نواةُ

كيف لا تنمو وقد روّى الثرى

حولها بالاحمر القاني الكماةُ

اننا ماضون في منهجنـا قلقَ الخوّانُ او مات العداةُ

أهون الناس علينا اعبدٌ يبذرون الشرّ فينا وغلاةُ

فاسترح وليتعبوا مـا تعبوا

وليضجّ الغربُ ولتسعَ السعاةُ

. . .

يـا بني التاميز والسان احذروا

ليس بعد اليوم للعرب سباتُ

فبنو الدجلة ثوّارٌ على

كلّ طاغٍ وبنو العاصي عصاةُ

قد تسلحنا وكم من قلمٍ قصّرَ الصارم عنهُ والقناةُ

فاإذا كانت لكم اسلحةٌ غيرُ اقلام الجواسيس فهاتوا!

ما الذي أغرى افاعيكم بنا أتراها جهلت انّا حواةُ ؟ !

ام ترى تحسبنا نرهبها

وهي مهما قيل فيها حشراتُ!

ليت هذا الدهر أبقى فيصلاً ليرانا يوم تعصينا الأناةُ

ليته عاش الى اليوم الـــذي تخلع الاغماد فيه المرهفاتُ

. . .

قيل سمّوه فقلنا عبثــاً حقّنا حيٌّ ولو مات مئاتُ

ليس في العالم من يجهل ما حدّث التاريخُ عنا والرواةُ

موتُ قَـيلٍ واحدٍ من يعربٍ

ليس يعني انّ كلّ العرب ماتوا

إنّ في بغدادَ عرشــاً عالياً

ثابتَ الركن وبالعدل الثباتُ

فوقه حرٌّ ابيٌّ حولهُ من بني العباس احرارٌ اباةُ

ورث الغازي الفتى عن فيصلٍ

فيصلاً ترهب حدّيه الغزاةُ

فعلى الحيّ من الله رضىً

وعلى الميت سلامٌ وصلاةُ !

ما الشامُ ما لبنانُ؟

لي في الفراق من الحميم مواردُ

ومن القتاد اسرّةٌ ووسائدُ

ويزيد قلبي في نواكَ حرارةً

علمي الاكيدُ بأنّ قلبكَ باردُ

يـا من يودّعني ويودعني اسىً

كابدتُ منه ولا ازال اكابدُ

كم رحلةٍ لكَ في البلاد يقيمني

فيها ويقعدني عذابٌ قاعدُ

هجرُ الحبيب من الشذوذ نعدُّهُ

أوَ ليس عندك للشذوذ قواعدُ؟

---

* وشاءت الجالية العربية الكريمة في بونيوس ايرس ان تظهر شعورها الطيب للناظم ولرفيقه الشـاعر القرويّ فاحيت لهما حفلةً شائقةً في مسرح سرفنتس الفخم، تبارى فيها الشعراء والخطباء وألقى فيها الناظم ما يلي:

أتظلُّ من سفرٍ الى سفرٍ، أما
لك نحو اهلك من ودادك قائدُ؟
أوَ كلما نبتَ الرجاءُ بمهجتي
ونما أغار عليه يأسٌ حاصدُ؟
ما أن يؤمّنني بشيرٌ عاطفٌ
حتى يروّعني نذيرٌ حاقدُ
أصبحتُ لا ادري وانت مقبلي
متحيباً أمسافرٌ ام عائدُ !
هلاّ ذكرتَ ولا إخالك ناسياً
بلداً مفاخر نازليه مفاسدُ ؟ !
داعوك للانشاد فيه حمائمٌ ومشيعوك عقاربٌ واساودُ
فاحذر اساليبَ السياسة انها لحبائلٌ منصوبةٌ ومصائدُ
وتوقّ ألسنةَ الرعاع اذا دعا
داعٍ فألسنةُ الرعاع مباردُ

. . .

ـ أكثيرةَ الشكوى رويدك واعلمي
أن الحياةَ منازعٌ ومقاصدُ

انا جدولٌ جارٍ يدغدغ ماوءهُ

هيفَ الزنابق لا غديرٌ راكدُ

وانا ابن يعربَ خلقةً وخليقةً

امّي المروءة والإِباء الوالدُ

حرّيتي ديني القويم ومذهبي   امّا القريض فطارفي والتالدُ

ماذا يهمكِ في البلاد تنقلي

ما دمتِ آمنةً وعندكِ خالدُ !

فلتثبتِ الشعرى على ما تشتهي

وليطوِ اجوازَ الفضاء عطاردُ

إِنّي على عهد المحبة فليكن

لكِ من يقينكِ للشكوكِ مطاردُ

لا الشامخ الراسي يغيّرني اذا

شطّ المزار ولا المحيط المائدُ

أمضي ولكن لا يطيب ليَ الكرى

حتى أنام وحول جيدي ساعدُ

فترقبي طيفي فربّ زيارةٍ

جمعت لك الآمال وهي شواردُ

وانسي سبابَ الساخطين فانهُ

لن يبلغَ النجمَ الغبارُ الصاعدُ !

. . .

أبني العروبة والعروبة واحةٌ

ما اجتُثَّ منها فهو نبتٌ فاسدُ

كم بات يدفعني اليكم خاطرٌ

إِن الخواطرَ بعضها متواردُ

من شاء يعلم ما تكنُّ قلوبنا فدليله هذا السرور السائدُ

اني بلغتُ بكم من العلياء ما

عزّ المحبُّ به وذلّ الحاسدُ

لو ناسب الادبَ المديحُ مدحتكم

بقصائدٍ ابياتهنّ قصائدُ

في الارض امثلةٌ لهنّ وفي السما

صوَرٌ فهنّ فرائدٌ وفراقدُ

لكنكم اهلي ومادح اهلهِ كلماته فيها عليه شواهدُ

إِنّا يجمعنا على رغم العدى

وذيولهم وطنٌ كريمٌ ماجدُ .

ما الشامُ ما لبنانُ ما حورانُ ما
عمّانُ ما القدس الشريفُ الخالدُ؟!
هذي الدويلات المبعثرةُ القوى
عُمُدٌ يقوم بهنّ بيتٌ واحدُ
قسماً بأمّةٍ يعربٍ وبتربةٍ
فيها ابو الجمرات يعربُ راقدُ
لولا مكائد بعضنا للبعض لم تنجح لأعداء الجميع مكائدُ
لولا انطفاء اشعة الافكار ما
ختمت على بعض القلوب عقائدُ
كلُّ امرىءٍ متمذهبٍ متعصبٍ
هو للغريب على القريب مساعدُ
اِنّ التعصب للمذاهب شرُّ ما
أبقى لامتنا الزمان البائدُ
منه لأبناء البلاد مصائبٌ شتى وللمستعمرين فوائدُ
اِنا واهل البُطل حربٌ فلننم
عن سيعهم وليشهد المتحايدُ
يتسابقون الى بناية مجدنا بمعاول التخريب وهي جرائدُ

كلٌّ له قلمٌ يفحُّ كأنه أفعى يغاضبها شجاعٌ ماردُ

هيهات يسلم من سموم لسانهِ

حرٌّ بما تأبى الكرامةُ زاهدُ

فاذا عددتَ مشتّميه عرفتَ كم

عدد الكرام وكم هناك محامدُ

. . .

يا ايها البلد المدلُّ على السهى

للحبّ فيك وللجمال معابدُ

وعليك من حلل الربيع مطارفٌ

خضر الجوانب تحتهنّ مجاسدُ

لما دنت منك السفينة واجتلى

شوقاً اليك الافقَ ركبٌ ساهدُ

برزت قصورك للعيان مضيئةً تحت النجوم كأنهن مراصدُ

وسمت روءوس قبابهنّ فهنّ في

عنق الفضاء من الجمان قلائدُ

وسرى النسيمُ اليّ منكَ محمَّلاً

ما يستدلُّ بهِ عليك الوافدُ

أرَجٌ تطيب به النفوس كأنما

مزجته بالأنفاس بكرٌ ناهدُ

فمشيتُ نحوك باحترامٍ مثلما

يمشي الى البلد الحرام العابدُ

ونزلتُ فيك على كرامٍ هوّنوا

عندي اكفّ البين وهي شدائدُ

وذكرتُ لبنان الحبيبَ وماءهُ

وسماءهُ وانا الغضوب الواجدُ

واهاً عليه وآه كيف تقوّضت

بالذلِّ اعتابٌ لهُ وروافدُ

ما من يحاول فيه مرقدَ عنزةٍ

مذ بات فيه للذئاب مرافدُ

هذه حكومته اذا ذُكرت بما

فعلت تذوب من الحياء جلامدُ

في عهدها نشأ القمارُ وأُقفلت

في وجه طلاب العلوم معاهدُ

وبظلّها راج الفساد ووُسّعت

اسواقهُ والمكرماتُ كواسدُ

وهي التي نشرت عليه دجنّةً

عميَ البصيرُ بها وضلّ الراشدُ

تطمو وتزداد امتداداً كلما قلنا تقارب فجرُها المتباعدُ

ويزيدها حلكاً بروز قلانسٍ

انّى اتجهنَ فثمّ ويلٌ راصدُ

للشرّ فوق سطوحنّ مراقصٌ

رحبت وتحت سقوفهنّ مقاعدُ

هنّ القدور لطبخ كلّ دسيسةٍ

والحقد نارٌ والرؤوس مواقدُ

مذ وُزّعت في الشرق محتوياتها

والشرق في دفع البلاء يجاهدُ

فلنجعلنّ قلوبنا حرساً لـهُ

حتى يعودَ الى هداه الكائدُ

ولنزأرنّ على العداة ليعلموا

أنّ المنازلَ في الشآم مآسدُ

شعرتُ بالغبطة الكبرى

الله بالخُلق الممتاز اغناكا
وهو الذي جمع الدنيا بمغناكا

أما ترى بسمات السعد طافيةً
على الثغور وعين السعد ترعاكا

كأنما السعد قد مدّت اناملهُ
من القلوب الى الاحداق أسلاكا

فكلما خفقت هاتيك آملةً
تلألأ البشر في هذي وحياكا

حللتُ دارك مشتاقاً الى بلدٍ
فراقه جعل الاشواق اشواكا

---

* واغتنم وجيه جالية مونتيفيداو «اوروغواي» السيد رزق الله نفاع فرصة وجود الناظم ورفيقه الشاعر القرويّ في بوينوس ايرس فدعاهما الى زيارته في تلك العاصمة، وغمرهما وقرينتهُ السيدة الفاضلة المهذبة زبيده باللطف وكرم الاخلاق طيلة شهرٍ توثقت في خلاله عرى الصداقة بين الضيفين ومضيفيهما فودعهما الناظم بهذه القصيدة:

تركتُ فيه صغاراً كالفراش غدا

بهم ليَ الزمن العبّاس ضحا كا

وقد تركت فوءادي في ملاعبهم

يطوي الربى معهم سبقاً وإدرا كا

ما زلت اذكرهم والنفس ظامئةٌ

حتى ارتوت بشهي من حميا كا

وما حمياك الاّ اللطف ينشرهُ

عنك الصحابُ وما يطويه أعدا كا

لطفٌ ضيوفك منه في منازلهم

وقد غدوا وهم الاحرار اسرا كا

سجيةٌ لك في الابناء باديةٌ

وحسبهم ان بدت فيهم سجايا كا

شعرتُ بالغبطة الكبرى كأنيَ قد

قبّلتُ ليلايَ اذ قبَّلتُ ليلا كا

ولاح قيسك يحكي خالدي فانا

اطير بالفكر منّ هذا الى ذا كا

وها سعاد اذا قسنا عصامَ بهـــا
ثرثارةٌ غلبت في الغنج (علاّكا)

ثلاثةٌ لكَ انستني دعابتهم
ثلاثةً ليَ ما ينسون نعماكا

وما اقول لأُمّ النيرات ومن
بمثلها تصبح الارضون افلاكا

حسناء اعطاكها الرحمان جوهرةً
أسنى وأبدع ما الرحمان اعطاكا

مرآة بيتكَ ما تنفكُّ عاكسةً
معنى الرضى المتجلي في محيّاكا

ترضي السماحةَ والاخلاقَ فيك ومن
أرضى السماحةَ والاخلاق أرضاكا

خيرُ العقائل فلتسلم لاسرتها
ولتحيَ للادب الراقي واياكا

لو أنكرَ الدهرُ أنكم عربُ

آياتكم يـا اكارمَ العربِ

تبعث في النفس نشوة الطربِ

ما دام لطف الحديث منتشراً

مـا حاجة الناس بابنة العنبِ

ردّوا القناني الى مخابئهـا   واجلوا علينا عرائس الادبِ

ابكار وحيٍ يكاد عاشـقها   يرقى باحلامه الى الشُهُبِ

تهفو اليها النفوسُ هاربةً   الى نعيم المنى من اللهبِ

. . .

عرائسُ الشعر قد بلغنَ بكم   غايةَ ما يرتجينَ منْ اربِ

لو لم تكونوا من اهلهنّ لما   بوّأتموهنّ ارفع الرتبِ

عرفتمُ قدرهنّ فينـا وهل   يعرف غير الصوّاغ بالذهب؟

* أُنشدت في المأدبة الوداعية التي ادبتهـا الجالية العربية الكريمة في بوينوس ايرس لصاحب الديوان ولرفيقه الشاعر القروي"، مساء التاسع من آذار سنة ١٩٣٤

لهنّ اكرامكم ونحن لنـا

من ضحكةِ الكأس بسمةُ الحببِ

وحسبنا ان نكون واسطةً لمحفلٍ ضمّ كلّ منتخَبِ

. . .

يا رحلةً ذكرها سيخلد في قلوبنا الشاعرات والكتبِ

طابت بها انفسٌ لو انغمرت بكل مال الانام لم تطبِ

ويـا كراماً دلَّت نجابتهم على جدودٍ اكارمٍ نجبِ

لو أنكر الدهرُ انكم عربٌ

لأثبتَ الجودُ صحةَ النسبِ

فانّ طيبَ الثمار مرجعهُ

لطيب عرقٍ في الترب محتجبِ

. . .

لا خيَّبت ربّةُ العلى بلداً آمالنا في بنيه لـم تخبِ

يمشي الشاآميّ في خمائلهِ كأنه في دمشقَ او حلبِ

ألعودُ في ظلّ دوحه غرِدٌ

يقضي على الصادحات بالعجبِ

والنايُ باكٍ لطول غربتهِ

عن إِلفهِ في منابت القصبِ !

والنهرُ تحت السماء منبسطٌ

صادٍ الى جرعةٍ من السحبِ

والنحل حول الضفاف مجتهدٌ

يغريه بعض الفراش باللعبِ

والزهر بالعاشقين مبتهجٌ وان بدا تارةً كمكتئبِ

فلا ازال الزمانُ بهجتهُ ولا اراه غوائلَ النوَبِ

ولا طوى الدهرُ ذكرَ جاليةٍ

تنشر في الارض رايةَ العربِ

الدمع ثناء

أيها المدنفُ يهنيك الشفاءُ
لك مستشفىً وآسٍ ودواءُ
فليمت حزنكَ وليحيَ العزاءُ
وليسُد أفئدةَ المرضى الرجاءُ
ولتبارك غيدَ غسانَ السماءُ

. . .

هنّ بالعطف جعلنَ النار بردا
وجعلنَ الشوكَ بالاحسان وردا
والـــذي ألبسهنّ الحسنَ بردا
ما لنا عنهنّ في العيش غناءُ
كيف تستغني عن الماء الظماءُ

---

* أُنشدت في احدى حفلات المستشفى السوري اللبنانـــي في بوينوس ايرس.

. . .

يـــا قلوباً هنّ للمسكين جنّه
اثمرت ادواحها فضلاً ومنّه
كم نرى اليومَ نفوساً مطمئنه
كلما لاح لها هذا البناءُ
شرقت بالدمع والدمع ثناءُ

. . .

يا عصافير المنى طيري صباحا
وابسطي في روضة الانس الجناحا
واملأي الدنيا هديلاً وصداحا
فالذي قصّرَ عنه الاقوياءُ
بلغته بالأناة الضعفاءُ

نحن نبغي التجميع

ايها المدعي الزعامةَ في لبنانَ مهلاً فقد ضللتَ الطريقا
إنّ هذا الجيلَ الجديدَ ليأبى عقلهُ المستنير وعظاً عتيقا
نحن نبغي التجميع يا صاحب الجبّة يا من يبغي لنا التفريقا
كلنا يحسب المواعظ ان لـم تشمل الناسَ بالاخاء نقيقا
ولو انّ الانجيل جـاء بما جئتَ للاقى التحقير والتحريقا
أغرق النورُ كلّ حيٍ فما بالك فـي لجة الظلام غريقا
مضحكٌ حبُّك اليهودَ ومبكٍ بغضك الواجدين فيك شقيقا
إنّ هذا تناقضٌ منك بادٍ كان يخفي بالامس سرّاً عميقا
أنت لـو لم تكن عدوّاً للبنانَ لما كنت لليهود صديقـا
أنت والله مـا رحمتَ فريقاً اجنبياً الاّ لتنكي فريقا...
ما حبتك السماء قلباً رقيقاً بل حبتك الجحيم وجهاً صفيقا

ما كان ضرّك

يـا من ذكرتُ جمالها متلهفاً
حسراً كما ذكر الثراء البائسُ

أشقى المحبين الذين عرفتهم
صبٌّ احبكِ وهو راجٍ يائس

ما كاد يلمح طرفهُ فجرَ المنى
حتى تغشّاه الظلامُ الدامسُ

خدي الذي قبـّلتهِ عند النوى
امسى يفاخر صنوَه وينافسُ

ما كان ضرّكِ لو مننتِ بقبلةٍ
اخرى يسرُّ بها الحزين التاعسُ

أيكون للمفتون خدٌّ باسمٌ
للحبّ والذكرى وخدٌّ عابسُ ؟ !

أيُّها القائد

بنتَ عن كوننا وعن احيائه

واستراحت اذناكَ منْ ضوضائه

حقٌّ من عاش ينشد الحق عند

الناس ان يستريح بعد عيائــه

كم ليالٍ سهرتَـها تسأل النجمَ

عن الشرق اين ماضي سنائه ؟

وليالٍ قضيتها تجمع النارَ وترمي بها علــى اعدائه ؟

وليالٍ سبحتَ بالفكر فيها طائراً بينْ ارضه وسمائه

ويحَ لبنانَ كلما ذُكر العزُّ جرى دمعهُ على ابنائه

مطلع الشمس بات ليس يرى الراؤون غير الكثيف من ظلمائه

* رثاء الوطنيّ الحر والصديق المخلص الدكتور خليل سعاده

مفرقُ الشام بعد أن تاه عزّاً

نقش الظلم فيه رسمَ حذائه

قم وجرِّد يراعةً تترك الظلمَ طريحاً مضرّجاً بدمائه

نبتت في ثرى الفخار وروّى

عرقها صيّبُ الاباء بمائه

فنمت صعدةً نما الخوف منها

في فؤاد الطاغي وفي احشائه

وهي جنيةُ الربيع ففيها نفحةٌ من صباحه ومسائه

كلما مسّ ثغرها خدّ طرسٍ

جرّ فيه البيان ذيلَ ردائه

حرّكتها اناملٌ لك كانت

ترسم الوحيَ في تمام روائه

. . .

ايها القائد الذي حشد الاحرار جيشاً يسير تحت لوائه

والذي عاش للثمانين كالسيف عجيباً في صفوه ومضائه

والذي جاهد الخطوب فلم يترك لخطب وسيلةً لاتقائه

والذي انزل المنونَ على الرحب كأنّ المنون من اصدقائه

رزوءنا فيك لجةٌ موجها اليأس وليلٌ عزاوءنا فيه تائـه
غيّبَ القبر كوكباً كان ركبُ المجد يسري مستأنساً بضيائه
وأصابت قذيفة الموت حصناً كان يمتاز بارتفاع بنائه
وفرى منجلُ الحمام يراعـاً طالما اسكر الورى بغنائه
كان كالعندليب في شدوه العذب وكالصقر في ابتعاد جوائه
كان من صوته خرير السواقي وهدير البحار من اصدائه !

. . .

أوشكت تنفد الدموع وعادي الموت ما زال ممعناً في اعتدائه

من لنا بالعزاء بعد خليل
كان كلُّ الوفاء دون وفائـه
طيّب القلب طاهر الكفّ حرّ
تشرئبُّ السهى الى عليائـه
معدمٍ ودّ كل حاوي ثراءٍ
لو شرى بعض مجدهِ بثرائه
ليس فوق الثرى ولا فيه مالٌ
يُنزل الحرّ شعرةً عن إبائه

وكنوز الملوك ليست تساوي ما يمجّ اليراع بعد ارتوائه

نم خليلَ العلى سقى الله قبراً

ضمّ علماً وحكمةً في فنائه

إِن يعدّوا ترفُّعَ الحرّ داءً

فمنى الحرِّ أن يموت بدائـه

سعيتُ الى مغناك يدفعني الجوى

ومثلكِ في الإِحساس ما خيبت سعيي

سأدفن وجهي بين نهديكِ ناشقاً

عبيرهما حتى اغيبَ عن الوعي

هنَّ !

قل هنّ والتزم الادب وابعد بهنّ عن الريَب
هنّ الرجاءُ لكلّ من بحرُ الحياة به اضطرب
فاذا ابتسمنَ لغائصٍ في الهمّ طار من الطرب
ولمتعبٍ غادرنهُ جذلانَ يهزأ بالتعب
ولمقعدٍ وثبت عليه حوادثُ الدنيا وثب
هبةُ السماء لعالمٍ ضرب الشقاءُ به الطنب
وهباتُ ربّكَ لا تحدُّ وهنّ احسن ما وهب

. . .

الحسنُ سلطهنّ فانقادَ المحبُّ لمن احب
والحبُّ يفعل في نفوس الخاضعين له العجب
حوّاءُ تطّلبُ الجديد فمن يرد لها طلب ؟ !
صاحت بآدمَ قم فخلّ الغابَ واطّرح الذنب !
ودع الكهوفَ لمن يشاء فما بهنّ لنا ارب

وذر الوحوش فما الفتى من في مساربها انسرب
لم يعطها الرحمانُ مـا اعطاك من شرف النسب
انت ابن اذكـى من مشى في الغاب منتصباً ودب

. . .

أغرتــه بالإقدام ارضاءً لنزعتهـا فهب
ومضت تحمســه بألفاظٍ احرّ من اللهب
فمشى بها متدرجاً بين السلامة والعطب
تحدوه بالامال باسمةً فيُمعنُ في الدأب
وينِي فترجع للاحاديث المثيرات العصب:
«انت ابن اوّل مَن تناول بالاصابع وانتصب
انتَ ابن ارقى من اتى الغبراءَ من امٍّ واب
إنــي لأحلم كلّ يومٍ بالجديد المكتسب
وأرى قصوراً بين ابراج السماء لهـا قبب
فاذا اجتهدتَ أريتني وجه السعادة عن كثب»
فيهبّ مندفعاً بإحساس المحبّ الى الغلب

. . .

للغيد ما احتمل الرجالُ من المتاعب والكرَب

ولهنّ ما كسب ابنُ آدمَ بالحلال وما نهب
ولأجلهنّ تسيل انهار الدماء على الـذهب
لو لم يكنّ على الثرى لا الفنّ كان ولا الادب
هذي المدائن والجنائن والقصائد والخطب
والمحدثات المدهشات وكلُّ سامٍ مستحب
من فضلهنّ فهنّ او حينَ الجمالَ لكلّ صب
وبلغن بابن القرد اسمى ما عرفن من الرتب

. . .

هنّ الرفيقات الغريبات المنازع والرُّغب
يغضبنَ للسبب الطفيف وكم غضبنَ بلا سبب
ولهنّ سلطان الجمال مع الرضى ومع الغضب
من كان ذا بصرٍ وأنكرَ فضلهنّ فقد كذَب !

رؤيا

انّي أرى جوّ السياسة بالغيوم ملفّعا
وأرى على الافق الصوارمَ والرماح الشرّعا
وأرى السلاهب كالمطاود وهي طائرةٌ معا
وأرى الفوارس كالصقور على الفرائس وقّعا
وأرى ربوع الشام تُحرَث بالسيوف لتزرعا
فاذا الوغى نشرت بيارقهـا وداعيهـا دعا
واذا صدى صوت القذائف في المسامع لعلعا
واذا الاتيُّ من الجزيرة في الشآم تجمعا
قولوا (لمرشمعونَ) يُفسح للاقارب موضعا !(١)

(١) مار شمعون بطريرك وقائد الفئة الاشورية التي ثارت على حكومتها في العراق فنكل الجيش العراقي بها وشرّدهـا تحت كل كوكب، ويعني الناظم بالاقارب اقارب هذا البطريرك الاشوري وهم فئة متعصبة دأبها الحط من كرامة العرب والتحرش بهم، وهو يتوقع لها المصير نفسه

ذكرى التيغري*

ألفجر أيقظ في الروض العصافيرا
فأيقظت بأغانيها الازاهيرا
تبسّمَ الزنبقُ التياه ملتفتاً
الى المروج وحيّا النَّورَ والنورا
أدّى السلامَ عبيراً منعشاً فسما
باللطف عمن يؤدّيه تعابيرا
ومرّت النسماتُ الناعمات بهِ
فاهتزّ فانحلّ عقدُ الطلّ منثورا
وللفراش حيال الزهر اجنحةٌ
تزهو على الزهر تزويقاً وتزويرا

---

* «التيغري» الدجلة، وهو نهرٌ وبساتين في ضواحي بوينوس ايرس، وفي القصيدة التالية يصف الناظم يوماً (من ايام العمر) قضاه ورفيقه «القروي» وجمهوراً كبيراً من رجال الجالية العربية في بوينوس ايرس ونسائها وكانت هذه الجالية الكريمة هي التي اعدّت هذه النزهة (الفردوسية).

وما اشدّ صفاءَ الماء مندفعاً

فوق الصفا ناقشاً فيه اساريرا

وللخرير صدىً في النفس يُسكنها

مع الملائك والحور المقاصيرا

وللحفيف كهمس العاشقين اذا

تبطّنوا خيفة الواشي الدياجيرا

وللطيور مناقيرٌ اذا انفرجت

ألقى الرعاةُ على الارض المساحيرا

نورٌ وشدوٌ وازهارٌ واندية

فما أشفَّ وما أغنى التصاويرا !

. . .

عرسُ الطبيعة هذا فهي بارزةٌ

بحلةٍ وصفها يعيي النحاريرا

أهدى الربيع اليها كلّ موءتلقٍ

من الندى وكساها النبت موفورا

وقد أفاض عليها النورَ فاغتسلت

بهِ وبالطيب لم تفتح قواريرا

عاد العريسُ الذي تهواه من سفرٍ
فكم يكون لديها العودُ مشكورا
وكيف لا تلتقي المحبوبَ نابضةً
بالشوق هازجةً حمداً وتكبيرا
ما الحبُّ الاّ حياةٌ فيك محدَثةٌ
سنَّ البقاءُ لها التبيين دستورا
فلو تيسّر كتمانُ الحياة لنا
اذاً لأصبح كتم الحبّ ميسورا
وما الطبيعة في حب الربيع سوى
قلبٍ يظل بنار الوجد مصهورا
وليس يدرك اخلاص الربيع لها
من لا يكون على الاخلاص مفطورا
وان يكن بعد انس الوصل يوحشها
فقد يكون كبعض الناس مقسورا

. . .

انني اذّكرتُ وحسن الروض يغمرني
روضاً بكل ضروب الحسن مغمورا

وفتيةً من سراة الشام تنشئ في
ارض اللجين صروحَ العزّ والدورا
عشاق مجدٍ روَت عنا خلائقهم
أنَّـا نقود الى المجد الجماهيرا
واننا فوق هام الرابضين بنا
نمشي الى الحقّ لا قيداً ولا نيرا
واننا نحقر الدنيا وزينتهـــا
حتى نكسّر غلّ العرب تكسيرا
واننا لو جمعناها برمّتها دراهماً لبذلناها دنانيرا
اذا رضينا بعثنا الشعرَ هينمةً
وإن غضبنا قذفناه اعاصيرا !
نبت لهُ بأعادينا اسرّتهم
كأنّنا قد حشوناها مساميرا
وضاقت الارض عنه فهو منطلقٌ
بازاً يطارد في الجوّ الزرازيرا
وحبذا لو فعلنا ما يكون لنا
اذا طوانا الردى بالحمد مذكورا

فليس يفعل شيئاً صائنٌ دمهُ

ما دام كلُّ دمٍ في الشام مهدورا

لكنهم حسبوا فوزاً ومقدرةً

ما نحن نحسبهُ ضعفاً وتقصيرا

وطالما كبَّرت عين الرضى حسناً

وصغّرت سيّئاً بالكبر مشهورا

وربَّ قمحة خيرٍ جئتها عرَضاً

فرازها خدنك الأدنى قناطيرا

فأكرمونا، وهم اهلٌ لما فعلوا،

بدعوةٍ تركت حسادنا عورا!

وزادهم ما رأوا منا بنا شغفاً

فلم تكذّب توالينا البواكيرا

وما رأوا غير اخلاقٍ مهذّبةٍ

تزداد في دنس الاخلاق تطهيرا

وفكرةٍ ترقب الاقمار ناكسةً

وعزّةٍ تُرجع الزلزال مدحورا

وفطرةٍ لم تزل في النفس هامسةً
ليس الكريم على الاثراء معذورا
وما رأيت سوى لطفٍ على كرمٍ
صفات يعربَ لا يقبلنَ تغييرا

. . .

وما نسيت فلن انسى عشيتنا
والطير تنشد في (التغري) المزاميرا
وليس يجهل ما (التغري) سوى نفرٍ
لم يسمعوا عن ربى الخلد الاساطيرا
مقاعدٌ ومماشٍ تحت اروقةٍ
من الغصون اكتست خزآ وبرفيرا
والكوثر العذبُ منسابٌ على مهلٍ
يروي الحدائقَ والولدانَ والحورا
تعهّدته يدُ الانسان غارسةً
في ضفتيه فراديساً معاطيرا
وعاهدته الغواني ما تفارقهُ
ما سعّرَ الحبُّ نارَ الشوق تسعيرا

خريرهُ لصدى التقبيل تصديةٌ

وليس يعرفنَ في التقبيل تقتيرا !

تخالهنّ ، ومن يهوينَ قد اتخذوا

بين الخمائل اعشاشاً ، عصافيرا

ولم يكن ليَ من عشٍّ هناك ولا

عصفورةٍ فرددتُ الطرفَ مقهورا

ولم اكن في جنان الخلد منفرداً

فأشكوَ البين سرّاً والتقاديرا

وانما كنت في رهطٍ يحزّنه

ان لا يرى ضيفهُ جذلان مسرورا

رهطٍ من العرب الاحرار زيّنهُ

غيدٌ حرائرُ زدنَ الروض تنويرا

وما نسيت فلن انسى بوَيخرةً

وما قصدتُ لغير الحجم تصغيرا

راحت بنا تتهادى عزّةً وعُلىً

كأنها شُحنت مسكاً وكافورا

تمرُّ بالدوح اجناداً منظمةً

صفّاً فصفّاً وطابوراً فطابورا

نخال أظلالها والبدر يرمقها

جسراً به اتصل الشطان او سورا

نخال زورقنا بالظل مصطدماً

فلن يطيق له الربانُ تسييرا

والركبُ يحسب تمتيعَ النواظر لا

الاسماع للزمن المحدود تبذيرا

والشاعر المنشدُ العوّاد يسمعهم

من الاغاريد ما يصبي الشحاريرا

والشاعر الآخر المفؤودُ منجذبٌ

يرنو الى العالم المسحور مسحورا

يخاطب النهرَ سرّاً غير محتفلٍ

شدواً ونقراً وتطبيلاً وتزميرا:

يا نهرُ أذكرتني نهراً بسوريةٍ

بل انهراً تملأُ التاريخ تذكيرا

تُبكي الغطارفَ من غسانَ فرقتها

شوقاً وإلفتها تُبكي النواعيرا

وتُظمئ الاسدَ من عدنانَ صابرةً

عنهم وما برحت تروي الخنازيرا

أليس ناسي الأُلى ناموا على مضضٍ

قاسٍ كناسك ابطالاً مغاويرا ؟

بلى ولكنهم خاضوا لجهلهم

من التعصب للاديان دردورا

وكلما طرحَت كفُّ المحبّ لهم

حبلَ النجاة اعادوا الحبل مبتورا !

. . .

مرّت بنا يقظةٌ كالحلم تاركةً

هذي الشروح لقلبي والتفاسيرا

اني اراجع بالذكرى حوادثها

كما يراجع ذو العلم الاحافيرا !

لابا ٦ كانون الاول سنة ١٩٣٤

يا أمي !

قَطَعَ البريدُ عليَّ حلمَ لقائكِ
ونعى السرورَ اليَّ حين نعاكِ
وارحمتا لبنيكِ حوّلتِ النوى
اهداب اعينهم الى اشواكِ
كانوا يرجّون اللقاءَ فغيّرت
مجرى الحوادث دورةُ الافلاكِ
فجعوكِ يومَ دعت مصاحبة العلى
بفراقهم ففجعتهم برَداكِ
ما كان اتعسهم غداةَ تفرّقوا
عن عشهم والصادحات بواكِ
وابو الصقور على فراق فراخهِ
في غمرةٍ مع دهرهِ وعراكِ

يرجو فلا يسع الفضاءُ جناحهُ

ولكم رماه اليأس في الاشراكِ

لهفي عليه مضى بداء حنينهِ

وبقيتِ صابرةً على بلواكِ

ان كان اهلكه الفراقُ فإِنما

امل اللقاء هو الذي ابقاكِ

أنفقتِ عمركِ ترقبين رجوعنا

وتجوس كل سفينةٍ عيناكِ

وتحمّلين الريحَ كلّ رسالةٍ

خرساءَ لقّنها فؤادَكِ فاكِ

ما مرّت النسماتُ بي عند الضحى

الاّ عرفتُ بطيبها رياكِ

والبدر لم يظهر لعينيَ مرّةً

إِلاّ قرأتُ بوجهِ نجواكِ

وهواتف الروض الطروبة ما شدت

الاّ سمعتُ بشدوها شكواكِ

أشقى النساء على الثرى امٌّ قضت

ايامها في وحدة النساكِ

أبناوءها ملأوا البيوت وبيتها

خالٍ من الحدّاث والضُّحاكِ

سحروا بمزعوم الغنى فتحوّلوا

صوَراً على الجدران دون حراكِ

ألاذنُ توهمها سماعَ حديثهم

والعين تنذرها : نهاكِ نهاكِ !

ترنو الى الافق البعيد بمقلةٍ

تبغي اختراق دوامس الاحلاكِ

وتسائل الاقمارَ : «اين محلّهم

ومتى يكون من الاسار فكاكي

ركبوا الخضمّ الى النضار فليتني

ألقيتُ نفسيَ فيه للاسماكِ»

وقضت ملوّعةَ الفوءاد وعينها

تجتال بين الباب والشبّاكِ

امّـاه ليس على الغريب ملامةٌ

بعض الذي يدهى الغريبَ دهاكِ

حَمَلَ الذي حُمّلتِ من ألم النوى

وعنا لسيف الغربة الفتاكِ

إنـّا خُدعنا بالسراب وطالما

خُدع الصدوق بمظهر الافاكِ

وجنى علينا المال شرّ جنايةٍ

والمال شيطانٌ بشكل ملاكِ

تنهار آمالُ الشباب لأنها

تُبنى على اسسٍ لهنّ ركاكِ

والدهر يأخذ منّ حياة ربيبه

ثمن الذي يعطيه من إدراكِ

شبنا وغيّرت الخطوب وجوهنا

وتعكّر الصافي وحال الزاكي

لم يبقَ فينا من طفولتنا سوى

ومضات برقٍ من شعاع هداكِ

ربيّتنا عرباً وحولك نسوةٌ

اولعنَ بالافرنج والاتراكِ

وأرَيتنا أنّ الفضائلَ جمّةٌ

وأحبهنّ اليكِ صونُ حماكِ

لبّيكِ انكِ لو دعوتِ الى الظبى

والى المراقم ميّتاً لبّاكِ

زادت وفاتك في الشآم جهادنا

من ذا يُبيح ثرىً يصون ثراكِ ؟ !

. . .

امّاه يا فخر البنين تحيةً

منا عليكِ لها شذا ذكراكِ

حسب المهاجر لوعةً أنّ الاسى

يقضي عليه ولا يرى مثواكِ

المتنبي

مجرّةُ مجدٍ رصّعتها المراقمُ
لكوكب سعدٍ أطلعته العظائمُ

أقام بها والدهر بالنجم سائرٌ
فودّعهُ ماضٍ وحياه قادمُ

يهدّم ما تبنيه بالصخر عاصفٌ
وليس لما تبنيه بالذكر هادمُ

كأنَّ السنين الالف ألفُ اريكةٍ
لملك بيانٍ ما لعاصيه عاصمُ

ابو الطيّب الكاسي المعاني بلفظهِ
كما كستِ الغيدَ الشفوفُ النواعمُ

لهُ السلطة العليا على كلّ شاعرٍ
فلا يدّعِ التجديد بالشعر ناظمٌ

* بمناسبة مرور الف سنة على وفاته

لقد بلَّغته السبقَ في حلبة النهى
جيادُ قوافٍ ما لهنّ شكائمُ
حكيمٌ وعرّافٌ وقاضٍ وكاهنٌ
وإن شئتَ صعلوكٌ وان شئت حاكمُ
طبيبٌ يداوي الموجعين وعنده
لكلّ جراحات النفوس مراهمُ
حوى كلَّ ما تحوي الحياةُ كتابهُ
ففيه أغاريدٌ وفيه دمادمُ
وفي كلّ لفظٍ حكمةٌ علويةٌ
ترددها الاجيال والدهرُ واجمُ
متى تاقَ فيه منطقاً غير جائزٍ
فجوّزه ولتاقَ اللهيبَ المعاجمُ !
هو المنجم المحيي اللصوصَ نفادُهُ
وكم نفدت من ألف عامٍ مناجمُ
يجدّد ما كرَّ الزمانُ شبابهُ
وتُنسخ أقوالُ الورى وهو دائمُ

كأنك منه في مغاور جِنَّةٍ

على كل بابٍ للمعاني طلاسمُ

ففي البيت مما يُدرك الناس عالمٌ

وفي الشطر مما يجهلون عوالمُ

اذا انت لم تفتحه بالعلم والحجى

فهيهات تجدي الساحرين خواتمُ

متى ما تلج باباً بدا لك غيرهُ

وبانت سراديبٌ ولاحت معالمُ

وأشرفتَ من قفر الحياة على ربىً

يحييك فيها زهرها والبراعمُ

ولست براءٍ في التعاريج حسنهُ

ولكن بما خلف التعاريج قائمُ

ففي الناس ناسٌ اعجزوا كلَّ قارىءٍ

وقد عجزت شرّاحهم والتراجمُ

يخبىء منهم كلُّ غاوٍ مرادهُ

كما خبّأ السنورُ ما انت عالمُ !

وليس لخزّان الخسائس عاذرٌ

وليس لخزّان النفائس لائمُ

ومن يلقَ بعد الحفر كنزاً لهانىءٌ

ومن يلقَ رملاً تحت رملٍ لنادمُ

. . .

فيا مالىء الدنيا ويا شاغلَ الورى

ويا معلناً بالشعر ما الدهر كاتمُ

أتطمع ان نرقى اليك بلاغةً

وجوُّكَ جوٌّ تتقيه القشاعمُ

وما وحده الجاني علينا وانما

خوافٍ لنا منتوفةٌ وقوادمُ

فكيف يعزّ الشعرُ في دار غربةٍ

كأنّ فصاحَ العرب فيها طماطمُ

وهل يستقيم النظم والنثر لامرىءٍ

يبيع ويشري مرغماً ويساومُ

ومن ذا الذي يمسي على اللفظ حائماً

وفي صدرهِ همٌّ على القلب جاثمُ

علينا حقوقٌ للعيال ومالنا

على الناس حقٌّ والدواهي دواهمُ

ولا دولةٌ تُرجى ولا سيف دولةٍ

تروّي النهى من راحتيه الغمائمُ

ووالله لولا فطرةٌ ما لدفعها

سبيلٌ لأنستنا الهجاءَ اللوازمُ

ولولا هوى الاوطان وهو مقدسٌ

لما جمعتنا باسمهنّ المواسمُ

وما الاهل فيها والتجمّعُ جابرٌ

بأسعد منّا والتشتت قاصمُ

ومن اين يأتي طالع السعد بقعةً

قضى عربها ذلاًّ وعزَّ الاعاجمُ

هوى مجدُ قومي تحت أنقاض ملكهم

فلا الملكُ مرفوعٌ ولا المجد سالمُ

ولا الشام بالقطر الذي انت واهمٌ

ولا العرب بالشعب الذي انت زاعمُ

تبدّلت الدنيا من النور ظلمةً
ومن كان مخدوماً غدا وهو خادمُ

وزال بنو حمدانَ يا بوق عصرهم
وصارت الى ايدي العلوج العواصمُ

تمشّوا علينا والرضى يستر الردى
«كما تتمشّى في الصعيد الاراقمُ»

وما عتّموا أن مزّقونا شراذماً
تساعدهم منا علينا شراذمُ

فبتنا حيارى لا نرى ايّ وجهةٍ
نؤمّ ولا ايّ العداة نقاومُ

نصوم عن الاعمال والسيف مفطرٌ
ونفطر بالآمال والسيف صائمُ

ونبحث عن نجم الرجاء بأعينٍ
نقلّبها في الجوّ والجوّ قاتمُ

. . .

أبا الطيّب المستنكرَ الشوم لا تلم
فإنّ سوايَ الشاعر المتشائمُ

أريتكَ وجهاً ذا قطوبٍ لصورةٍ

بوجهين فانظر صنوَه فهو باسمُ

ألستَ ترى في مهرجانكَ نهضةً

لها الحقُّ أُسٌّ والاماني دعائمُ

أدر نظراً في الشرق تحمد جهادهُ

وتبشر فليس اليوم في الشرق نائمُ

نفضنا غبار الذلّ في اوجه الأُلى

على يدهم حلَّت علينا المظالمُ

ودسنا طلى المستكبرين بوثبةٍ

تعلّمها منا الليوث الضراغمُ

وكنا على هام الاعادي صوارماً

اذا فُلّ منها صارمٌ سُلّ صارمُ

لئن تكُ حوران المغاوير أجدبت

فقد أقبلت فيها العلى والمكارمُ

وهل أجدبت الاّ لأنّ ترابها

عليه التراقي فُجّرت والغلاصمُ

سقاها دمَ العادي عليها كماتها

ويسقونها حتى تغصّ المخارمُ

اذا فتروا أذكى الحماسةَ هاتفٌ:

«على قدر اهل العزم تأتي العزائمُ»

فيقتحمون النارَ والموتُ زائرٌ

وما همهم والمجد للشام باغمُ

طريق العلى لن يرجعوا عنه خطوةً

ولو رُكمت في جانبيه الجماجمُ

أتطلب برهاناً ولبنانُ ناقمٌ

وكم قد حملنا همَّهُ وهو ناعمُ

جلا عنه مربدُّ الدخان غمائماً

من الهون ربداً والدخان غمائمُ(١)

وايّ دخانٍ ليس يصدر عن لظى

وأقوى اللظى ما ولّدته السخائمُ

(١) اشارة الى حركة احتكار الدخان التي اثارها غبطة البطريرك الماروني ضد المحتكرين الافرنسيين.

ألا فليقِ العاتي من الويل نفسهُ

فما تضمر الاقدارُ للغرب حاطمُ

تفاقم في ظلّ التعصب شرُّهُ

فأثمر خيراً شرُّهُ المتفاقمُ

تنظّمَ منثور الهوى وتصالحت

قلانسُ اصحاب اللحى والعمائمُ

وزاد نشيد الفاطمات حماسةً

مذ اشتركت معهنّ فيه المرايمُ

وأمسى الذي بالامس كان مسالماً

وأعوانه حرباً على من يسالمُ

اذا نزلت بالشاعرين مظالمٌ

فقد شعروا انّ المنايا مراحمُ

وليس يميت الدهرُ بالذلّ امّةً

لها من قوافيك الأبايا تمائمُ

من جميل الى جميل

افدي بروحي التي زارت وما سألت
عمّا سيحدث من قالٍ ومن قيلِ
سدّ الهوى أُذنيها وهو يدفعها
اليّ عن كل تحريمٍ وتحليلِ
ولهي تقول وقد طوّقتها بيدي
رفقاً فديتك في ضمّي وتقبيلي
أزلتَ تجميلَ وجهي، قلتُ إنّ لفي
هذا الجمال غنىً عن كلّ تجميلِ
أحمرةٌ وخدود الورد حاسدةٌ
صفاءَ خدٍّ بماء الورد مغسولِ
وما اكتحالك والالحاظ فاتكةٌ
ترنو فترمي فتصمي دون تكحيلِ

وأيٌ شَعرٍ كهذا الشَعر منتظمٍ

واي ثغرٍ كهذا الثغر معسولِ

يا من اعادت الى مفتونها املاً

قد كان لولا رضاها غير مأمولِ

ما كان أنضب عيشي قبل ان رتعت

عيناي منكِ بريف الحسن والنيلِ

إني لأنظم شعراً فيكِ تنقله

عني الخلائق من جيلٍ الى جيلِ

حبّيكِ ديني وشعري فيكِ أنزلهُ

ربُّ الجمال ليُتلى كالأناجيلِ

لو تعرفين عذابه

رجع الغريبُ الى ذويهِ ومضى فلا تترقبيهِ
مـا كان أيسر كسبهُ لو شئتِ ألاّ تخسريهِ
لـم ترحميه وكم رجا متضرعاً ان ترحميهِ
وكـم اشتهى طيبَ الوصالِ فذاق مـا لا يشتهيهِ
لو تعرفين عذابهُ لوددتِ لو لـم تعرفيهِ
هلاّ علمتِ بانّ حرقةَ قلبهِ بدأت بفيهِ ؟
قبّلتِ فاه فأضرمت شفتاك حمى الوجد فيهِ
وتركتـهِ لا شيءَ من نهش الاسى الضاري يقيه
ذاك الرجاء العذبُ ألقاه بـذا اليأس الكريهِ
لطفُ الحبيب خشونةٌ إن لم يكن عطفٌ يليه

تبقون انتم

منْ كان في زعمكم بالصدّ يتصفُ

تبقون انتم فقد أودى به الكلفُ

أيقظتموه ونمتم ملء اعينكم

كيف المحبّ عن المحبوب يختلفُ !

يا من اسالت منّ الاجفان فرقتها

جمراً من القلب فوق الخدّ ينذرفُ

ما مرّت الريح بي الاّ ذكرتُ بها

عهداً غنمناه والواشون ما عرفوا

هل تذكرين لقاءً غير منتظرٍ

مني ومنكِ اعدّته لنا الصدَفُ

في ساحةٍ بصنوف الخلق حافلةٍ

تشكو التزاحمَ فيها الرجل والكتفُ

نادى الهوى فوقفنا منصتَين وهل

غير الكريم اذا نادى الهوى يقفُ

الناس منصرفٌ كلٌّ لحاجتهِ

ونحن كلٌّ الى نجواه منصرفُ

تشكين دامعةَ العينين ما فعلت

بقلبكِ النظرةُ الاولى وأعترفُ

وتأسفين على عمرٍ مضى عبثاً

قبل اللقاء وماذا ينفع الاسفُ !

. . .

لي في فراقكِ يا من لا يفارقني

خيالها الهم والتسهيد والتلفُ

فلو وقفت على وصف الجوى عمُري

لضاع معظمهُ في بعض ما اصفُ

صوتُ غريق

تجيش بتيار الحقود عروقي
على زمنْ بالموبقات عريقِ
فحصتُ بمنظار الحياة وجوههُ
فلم ارَ فيها غير كلّ صفيقِ
تخبّىء ناب الصلّ خلف ابتسامها
وأقتلَ سمّ ٍ تحت أعذب ريقِ
لياليَ للسارين فيها معاثرٌ
تشاغلهم عنها ببعض بريقِ
وليس لرجلٍ في التراب اسيرةٍ
مناعةُ طرفٍ في الفضاء طليقِ
وما انا من لجّ الخداع بمأمنٍ
حذار فهذا الصوت صوتُ غريقِ !

فكم حزَنٍ منها جديدٍ يجيئني

على حزَنٍ بين الضلوع عتيقِ

أزيد متى ابغي انفلاتاً تشبُّكاً

بهمّي كما يجري لكل دبيقِ

ولولا الذي ألقاه طرتُ مغرّداً

على كلّ ميّاس القوام وريقِ

. . .

تحمّلتُ وحدي مذ ترامت بيَ النوى

مصائب يودي بعضها بفريقِ

نفارقتُ عشَّ الوالدين وليس لي

سوى زغبٍ فوق الجناح رقيقِ

وألقيتُ نفسي في محيطٍ ملبّدٍ

بغيم بلاءٍ بالغريب محيقِ

اجوب بلاد الناس شرقاً ومغرباً

وأقطعها من شاهقٍ لعميقِ

بغير رفيقٍ تارةً ولطالما

تمنَّيتُ لو أني بغير رفيق!

وماتَ ابي قتلاً وامّي تحسُّراً

فأَسمعتُ أقصى النيرات شهيقي

وطارت سعادٌ من يدي وهي طفلةٌ

فكان حريق الغاب دون حريقي

وحلَّت بحلقي نكبةٌ خلتُ أنها

تسدُّ على الانفاس كل طريقِ

وأن حياتي تنتهي بعد لحظةٍ

فيُفرَج في ضيق الحفيرة ضيقي

ولكنها زالت فزادت مخاوفي

وعشت ومالي طاقةٌ كمطيقِ

فيادهر سالمني وهادن فإنني

ككلِّ كريمٍ بالسلام خليقِ

وثق أنني انسى ذنوبكَ كلها

وأزعمها للناس عطف شفيقِ

على ان أرى وجه الردى قبل ان أرى

خيانةَ محبوبٍ وغدرَ صديقِ !

هل أغنّي

ظننتُ بُغى الفتوّة والتمنّي
تزول بالاكتهال فخاب ظني
أرى قلبي يظل على صباه ولو حامت على التسعين سنّي
يكلفني الشقيُّ هوى الصبايا
فأُهواهنّ ممتثلاً كأني...
ويولعني بأصغرهنّ سنّاً وأصغرهنّ أبعدهنَّ عني
بكيت فقال اصحابي : أتبكي ؟ !
فقلتُ مضى الشباب فهل أُغني ؟
ولو راح الهوى لأراح نفسي
من الصدّ المبرّح والتجنّي
ولكنَّ الهوى باقٍ وقلبي
بمعترك اللحاظ بلا مجنِّ

بأيّ وسيلةٍ ارضي الغواني
وشعري عندهنّ عزيفُ جنِّ
غريبات اللسان يرَين شكلي
وليس يرَين معرفتي وفنّي
يُرقنَ على اديم الارض خمري
اذا لم يرضهنّ جمالُ دنّي
دعوا دمعي يسيل فما لمثلي
شعور المستريح المطمئنِّ
وليس أحقَّ من عيني بدمعي
وأولى بالبكاء عليّ منّي

فتى الاصلاح

لعيدكَ صانت الدرَّ البحارُ
وقد وافى فما التُمسَ المحارُ

وأيُّ فتىً يصوغ لك القوافي
فيعوزه الجمان او النضارُ

من اسمكَ للقريض حليُّ مجدٍ
وعزٌّ للبلاغة وافتخارُ

ومرقيكَ المُعدُّ لنا المعالي
يُعَدُّ بهِ لكاشحنا الصغارُ

لهُ في ملتقى الاقلام سنٌّ
تحاذره الاسنة والشفارُ

---

* قالها بمناسبة احتفال الجالية العربية في الارجنتين بمرور ربع قرنٍ على جهاد الطبيب العربي الكريم صاحب مجلة الاصلاح جورج صوايا وتضحياته البالغة في سبيل الادب والوطنية.

يثير على التعصب نارَ حربٍ

يطير على اللحى منها شرارُ

ترى المتعصبين اذا تراءى

لهم في الحلم أرّقهم فثاروا

قذفت بهِ قلانسهم فطارت

ولو خفّت ما آثمهم لطاروا !

شحذت َ غراره ُ من ربع قرنٍ

وصلت بهِ فما انثلم الغرارُ

كأنّ مضاء عزمكَ حلّ فيهِ

وحلّته الشمائلُ والنجارُ

وعزمكَ لا يُلمُّ بهِ فتورٌ

وثغركَ لا يفارقه افترارُ

وانت الليث في ساح المنايا

وفي روض الهوى انت الهزارُ

. . .

أخا (الاصلاح) واصلها عواناً

على ضوضائها نشأت نزارُ

صدى هذا الصرير صليل بيض
ترجّعه الحواضر والقفارُ

كأن قريضنا نارٌ عليهــا
مراجل في الشآم لها انفجارُ

قوافٍ بالحماسة ملهباتٌ
يهشّ لها الهشيم والاخضرارُ

لها كالنار زمزمةٌ ولفحٌ
ورهرهة وكالنور انتشارُ

يهزّ دويُّها العبدانَ حتى
ليصعب أن يقرّ لهم قرارْ

وكم طلبوا الفرارَ فما استطاعوا
واين لهم من الموت الفرارُ

وكم هزأوا بها وبناظميها
وبعض الهزء خوفٌ لا احتقارُ

ففي عدم اكتراثهم اكتراثٌ
وجبنٌ في تشجُّعهم وعارُ

اذا خاف الصبيّ الجنَّ راءى

فمرّ مغنّياً وبه ازورارُ

وقد يتضاحك الفاني لأمرٍ

وفي أجفانه منه احمرارُ

وإنشاد العساكر وهي تُزجى

الى الهيجاء للشكوى ستارُ

. . .

أخا (الاصلاح) لا إصلاح يُرجى

وفي بيروتَ للافساد دارُ

فما (قصر الصنوبر) غير كهفٍ

من الغيلان تسكنه الكبارُ

اذا كان المفوّض فيه لصّاً

فكيف اذاً يكون المستشارُ ؟ !

وهل يحتل جند البغي داراً

ولا يحتلّها معه الدمارُ

اسافل امّةٍ نزلوا علينا

فأظلم في منازلنا النهارُ

وقد نزلوا ضيوفاً فاستبدّوا
وأطمعهم تسامحنا فجاروا

عشوا لما غمدنا البيضَ عنهم
ولو أنّا سللناها استناروا

فيا قصر الصنوبر سوف يهوي
على من فيك سقفكَ والجدارُ

فتمتزج الروافد بالهوادي
وتختلط الجماجم والحجارُ

جهلتَ مصيركَ المعلومَ ممن
لهم بحوادث الدهر اعتبارُ

غداً واليومَ عجرفةٌ وظلمٌ
وبعد غدٍ تداعٍ وانهيارُ

سيُعجزك الثباتُ وانت جانٍ
وللشمّ الانوف عليكَ ثارُ

. . .

أخا (الاصلاح) عيدك للمبادي
وللاخلاق والادب ازدهارُ

وفي (الاصلاح) للبُطل انكسارٌ
وفي (الاصلاح) للحق انتصارُ

وما الاصلاح للساري بليلٍ
يضلّ به الحجى الاّ منارُ

وميدانٌ لأفراس القوافي
تغير بـه القوارح والمهارُ

فكم جلَّيتُ فيه وعدتُ منه
وفوق الجبهة الغرّاء غارُ

وكم صوتٍ دوى فيهِ فراحت
تناقلهُ الى الشام البحارُ

يقول لأهلها هبّوا سراعاً
فهذا الصبر جبنٌ لا وقارُ

أيطمس حقكم بطلُ الاعادي
وأنتم خيّرون وهم شرارُ

وما بعد ارتفاعكم ارتفاعٌ
وما بعد انحدارهم انحدارُ

لكم شرفُ العروبة وهو إِرثٌ

ويملك وهمهم شرفٌ معارُ

فكيف الى حضيض الذلّ صرتم

وكيف الى ذرى العلياء صاروا ؟ !

حماسةُ مولعٍ بالحق مغرىً

بأُمتهِ اذا مُسَّت يغارُ

. . .

فتى «الاصلاح» دونكها قلوباً

لها الاخلاص ما خفقت شعارُ

اتتكَ وقد بذرتَ الحُبَّ فيها

لتنظرَها وقد نبت البذارُ

عيني عليكِ

يا نجمةً في سماء الحسن طالعةً

عيني عليكِ ولكن اين منكِ يدي

إِحدى يديّ الى علياكِ أرفعها

مستعطفاً ويدي الاخرى على كبدي

ألَيس تشجيكِ شكوى شاعرٍ ملأت

آهاته الارضَ وامتدّت الى الجلَدِ

أَما تهيجكِ أنَّاتٌ يرجعها

مستوحشاً وبشير الصبح لم يفدِ ؟

هذا المحبُّ وهذا وصف حالتهِ

يُجنى عليه وما يجني على احدِ

لم تبقِ منه العيون الساحراتُ سوى

شيءٍ من الروح في شيءٍ من الجسدِ

اشرب الشاي

قالَ لي صاحبي اراكَ حزيناً
قلتُ يا صاحبي وحزني شديدْ
إنّ داءَ الفؤاد همٌّ قديمٌ
والداءُ المفيد حبٌّ جديدُ
كلما لاح لي محيّاً جميلٌ
راجع القلبَ سقمهُ المعهودُ
ينقص الوجدُ بالمشيب ووجدي
كلما زاد بي المشيبُ يزيدُ

. . .

قال قم نرشف الكؤوسَ ففيها
يغمر النحسَ كوكبٌ مسعودُ
قلتُ هيهات ليس للنحس إلاّ
في ارتشاف اللمى امّحاءٌ اكيدْ

كم تعاللتُ بالشراب وكم ضاع بتلطيف علتي مجهودُ
في فؤادي لظىً وفي كلّ حسنٍ
تجتليه العينُ الطموحُ وقودُ

. . .

قال قم نجتنِ الثمار فقد مال بها الغصنُ وانحنى الاملودُ
قلتُ والغيدُ قد مررنَ الا انظرِ
إنّ اشهى الثمار هذي النهودُ
أعطنيها وخذ خزائنَ روتشيلدَ
وخذ كلّ ما حوته اليهودُ
لو خلت جنةُ الآله من الحور
لما مات في الجهاد شهيدُ

. . .

عجباً للقلوب تلهو عن الحبّ
وفيهِ فردوسها المفقودُ
وجمال النساء ربٌّ له المجد
وفي كلّ هيكلٍ معبودُ

ايها الضاحكون مني ألحمٌ
خافقٌ في صدوركم ام حديدُ
لا هنيئاً لكم فما هنّىءَ يوما بالقسوة الجلمودُ !

هاتها

هاتها من ثغركَ المعسول تحيي او تميتُ
رشفةً فيها الطلا والشهد والمسك الفتيتُ
هاتها تسكر بالطيب وتروي وتقيتُ
انا اِن لم يكُ لي في العيش اِلاّها كُفيتُ

شبابَ الشآم

سلامٌ عليكم حماةَ الذمار

ويا فتيةً لابســين الوقار

ويا ناظرين الى الظالمين

وأحكامهم نظرات احتقار

ويا مقسمين بمجد الشآم أن يرهفوا للجهاد الشــفار

وان يجمعوا الشام في دولةٍ

لها من اإِباء الشباب شــعار

وأن يجمعوها برغم اللحى

ورغم المفوّض والمستشار

وان يجمعوها فما يتركون

حقوداً على غير شيءٍ تثار

ولا يتركون لذي مأربٍ

مجالاً لدسٍّ يغلُّ الشجار

يقولون للزاهدين بغير الرئاسة، طبعا، وغير النضار :
تدخلكم في شؤون البلاد يجرّ على ساكنيها البوار
تركنا لكم شهدَ تلك الديار
فخلّوا لنا خلَّ هذي الديار
فهذي معابدكم للصلاة وهذي معاقلنا للحصار
وانتم تخافون نار الجحيم
ونحن نخاف جحيم الصّغار !

. . .

شباب الشآم شباب العلى
صقور الجبال ليوث القفار
ويا ذاخرين ليوم الوغى
سيوفاً تمتّ الى ذي الفقار
سيوفاً تمزّق ما سطروه
وتغسل بالدم حبرَ الشنار
سيوفاً تصرّح فوق الرقاب أنّ العروبةَ نورٌ ونار
وأن مناطقَ برّ الشآم
تجمعها وحدةٌ لا جوار

وأن الذين أضاعوا البلاد

يضيعون تحت نعال المهار

ولا رفقَ يومئذٍ بالخؤون

فهذا الحصاد لذاك البذار

وما يرتجي مستبدٌّ يعطّل

دور الدروس ليبني المطار

وعدل العروبة اوحى لجبلةَ أنّ طريق النجاة الفرار

وللخائنين أكاليلُ عارٍ وللمخلصين أكاليل غار

. . .

شباب الشآم شباب العلى

ويا فخرَ لبنانَ يوم الفخار

ويا امل النازحين الذي

سقوه دموع القنوط الغزار

ويا سادةً يخضعون لعبدٍ

يسود البلادَ بجيشٍ معار

صبرتم على الظلم صبر الكرام

وللصابرين عليه انتصار

فلا تجزعوا لظلام المحيط ولا تيأسوا من طلوع النهار
فإنّ اللآلي التي في النحور
قد نشأت في ظلام البحار
وإن تسجنوا في سبيل البلاد
فقد سُجنت قبلكم في المحار !

يا من يحدثني بغير حديثها
أقصر فانك باطلا تتكلمُ
انا لست اسمع ما تحدثني بهِ
واذا سمعت فانني افهمُ

الى واعظة

ما لمن ألبسها الحسنُ ثيابه

كلما لنتُ لها ازدادت صلابه

ما التقينا مرّة الاّ اقتسمنا بيننا عذبَ التلاقي وعذابه

لي منها الوعظ كالوخز وأنكى

ولها مني الترجّي والصبابه

قنعت بالحبّ أن داعبها اتراها تحسب الحبَّ دعابه

ترتضي قشر الهوى قانعةً وانا لا ارتضي الاّ لبابه

كيف يرضى شاطىء البحر لهُ

مسبحاً من كان خوّاضاً عبابه ؟ !

. . .

انتِ يا من كلما استسقيتها ناولتني علقمَ الصدّ وصابه

خففي الوعظ وردّي كرماً للذي شيَّبه الوجدُ شبابه

سان باولو

ـ أتهجرها وتبخل بالسلام

وكنتَ تزور حتى في المنامِ

وتعبس كلما ذُكرت ولولا

بشاشتها لعشتَ بلا ابتسامِ

وكنتَ حبيبها اذ كنتَ فيها

وبُعدكَ زاد في وهج الضرامِ

نأيتَ وظلَّ طيفكَ في رباها

يحوم على الزنابق والخزامِ

وصوتك لا يزال له دويٌّ

يهزُّ صداه أفئدةَ الانامِ

ولولا غيدها ما قلتَ شعراً

تناشدُه العواشق في الظلامِ

وكم لك في البلابل من حليفٍ

وكم لكَ من أليفٍ في الحمامِ

ومثلك لا يُضيع ولاء قومٍ

كرامٍ يعطفون على الكرامِ

ولا ينسى الذين ولا اللواتي

بهم وبهنَّ سار على الغمامِ

وفي سان باولو من غسانَ رهطٌ

على صدر العروبة كالوسامِ

وفيها من يجيد الشعر حتى

ليغني المدمنين عن المدامِ

وهل يرضيك بعدك عن ربوعٍ

عرفتَ بقربها طيبَ المقامِ

وكيف تدير للواشين اذناً

شكت اعصابها همسَ الغرامِ

وهجران الحبيب اشدّ وقعاً

على قلب المحبّ من السهامِ

فعُد تطبِ الحياةُ لنا جميعاً
ويروِ الوصل افئدةً ظوامي
ونغترف الهناء معاً كأنّا
رجعنا موسرين الى الشآمِ

. . .

ـ بني وطني وخيرَ الناس عندي
وأولاهم بحبّي واحترامي
اتاني عتبكم فأجدّ وجداً
قديماً كان يمكن في عظامي
وحرّك لوعتي لما أراني
بعين الفكر ما خلفي أمامي
أرى زمن الوئام مضى فأبكي
وكم غنّيتُ في زمن الوئامِ
وما ذِكرُ السعادة في شقاءٍ
لسامعهِ سوى اسمٍ للحمامِ

رعى الله الديارَ وساكنيها

وجاد على النوامي بالهوامي

ديار احبتي ما كنتُ أنسى

لياليَها ولو خفرت ذمامي

فكم غيدٍ بهنّ وكم نجومٍ

قد انعكست مباسمها بجامي

سأذكر ما حييتُ بناة مجدٍ

بنوه من الاخاء على دعامِ

بنوه بالاتحاد وخلّفوه يهدّم بالعناد والانقسامِ

رجونا ان ننال بهِ الثريا فحوّله العداء الى ركامِ

فليت قصورنا كانت قبوراً

لمن زرعوا الوقيعة في السلام

سلوهم ايّ فائدةٍ أصابوا

وما اكتسبوا بتحريف الاسامي

وأية نعمةٍ هبطت عليهم وهل بلغوا البعيد من المرامِ

الا أنّ الغنى فرسٌ جموحٌ

وما غير الفضيلة من لجامِ

وايّ فضيلةٍ في قتل شعبٍ
ووحدتـــه (لتقويم الكلامِ)

رأيت ضلالهم فرفعتُ صوتي
أحذّرهم فما نفع اهتمامي

شفى داء العمى عيسى وضاعت
عجائبهُ لدى داء التعامي
وأعجزه تعصب قاتليه ولم تعجزه عادية الجذام !

. . .

بني وطني واصحابي واهلي
بحق الودّ كفّوا عن ملامي

وخلّوني اقاسي البعد عنكم
وألقى الوجدَ مشدوداً خطامي

أُفضّل ان اجوبَ البرَّ وحدي
وأقتحم الفدافدَ والموامي

وأتّبع الرياحَ فلا قعودي
يطول اذا قعدتُ ولا قيامي

وأصطحب الزنوجَ على التدني

وأنصافَ الهنود على العرامِ

وانزل كل يومٍ دار قومٍ

وداريَ مرّةً في كل عامِ

وأُحرِم طيّباتٍ صمتُ عنها

ولم ارجُ الثوابَ على صيامي

وعيشَ غوايةٍ وهدىً أفضنا

به السحر الحلال على الحرامِ

. . .

أُفضّل روءية الأنمار حولي

تهدّدني بأظفارٍ دوامِ

وروءية كلّ ذي نابٍ حديدٍ

يحاول حين يلمحني التهامي

. . .

أُفضّل ان انامَ مع الافاعي

وأحلمَ بالعقارب في منامي

ولا تقذى ولا في الحلم عيني

بروءية مبطلٍ والحقّ طامِ

. . .

أإخواني انا سغبٌ ولكن

لقد وقع الذبابُ على الطعامِ

البلابل الصداحة

كلَّما رجّع الهزار صداحَه

أترع الفجر بالندى اقداحه

فأدر يا نسيم ما شئتَ منها

واسقِ هذي البلابل الصداحه

إن خلع العذار لا عارَ فيه

عند ما يلبس الربيع وشاحه

سرير الحبيب

هذا سرير الحبّ لا تنكري

أعرفـه من ريحه المسكرِ

سريرُكِ الحاوي بقايا شذا

جسمٍ من الكافور والعنبرِ

أخليتهِ لي يومَ امسيتُ في

منزلكِ الحالي بكِ المزهرِ

وكنتُ لو أخليتِ لي بعضهُ

أسعدَ مخلوقٍ مدى الاعصرِ

قد ضاق بي وحدي ولو لم اكن

وحدي لما ضاق ولم يقصرِ

لو كان من اهوى معي في مدى

شبرين لم نحتج الى اكثرِ

يتحد الجسمانِ في نشوةٍ
من ذاقها بالبؤس لم يشعر ؟

صدرٌ الى صدرٍ وثغرٌ الى
ثغرٍ وكم من رعشةٍ تعتري

يحضن هذا ذا وذا حاضنٌ
هذا كعصفورين في صرصرِ

. . .

هذا سرير الحبّ احتلّهُ
ظمآنَ مصدوداً عن الكوثرِ

نام بهِ اليأس الى أيمني
اذ نمت والشوق الى أيسري

نمتُ ؟ ! وأين النوم من واقعٍ
من برثن الصقر الى المنسرِ ؟

تمشي الهموم السود في قلبهِ
على رفات الأمل الأشقرِ

. . .

يا قلبُ هذي جرعةٌ مرّةٌ
فلنعتصم بالحب ولنصبرِ
أبَيتَ الاّ رجعةً للصبا
كم من غرورٍ فيك مستكبرِ
فاحتملِ الصدَّ الذي عندهُ
يسهل عندي الطعنُ بالخنجرِ
هذا مكان الخدّ ِ فاخفق لهُ
وذا مكان الصدر فاستبشرِ
ويا يدي دوري على خصرها
ويا فمي من لثمها أكثرِ !...
ما أطيبَ الوهمَ اذا لم نُفق
منه بصوت الواقع المعثرِ

. . .

فيا سريراً كنتُ اشتاقهُ
ولم تزل نيران شوقي تري
لكنني اشتاقه آهلاً بالحسن لا كالبلد المقفرِ

ضاجعتُ فيكَ السهدَ في ليلةٍ
فيها الاماني الغرُّ لم تسفرِ
ضاعت أماني غائصٍ كفُّهُ
الاّ بمهد الدرّ لم تظفرِ

نأيتِ

نأيتِ فكيف يبلغكِ انتحابي
وكيف يهيج قلبكِ ما يهيجُ
ودمعُ الحبّ ليس لهُ خريرٌ
ونار الشوق ليس لها اجيجُ
اذا لم يحوِ قلبك ما بقلبي
فلا الشكوى تفيد ولا النشيجُ
ولا يغني اذّكاركِ عنكِ الاّ
كما يغني عن الزهر الاريجُ

المعرّي

حديثك عن بحرٍ اذا هاج أرعبا
فحقك عند الخوض أن تتهيّبا
ولكنه البحر الذي لا تهزّهُ
عواصف تذري الراسيات لتلعبا
وخلجانهُ درٌّ تنضّدهُ الضحى
وشطآنهُ تبرٌ تبعثره الصَبا
ويقصده الصادي فيلفيه كالندى
وأطهرَ من دمع الصباح وأعذبا
سلامٌ على شيخ المعرّة انهُ
أفاض على الاجيال سحراً مركّبا
سلافةَ شعرٍ في اباريق حكمةٍ
يطوف بها عانٍ اذا افترَّ قطّبا

* بمناسبة الف سنة على ميلاده.

رمته يدُ الاقدار باليتم والعمى
فكان له العقل الهدى والهدى الأبا

وغادره الجدريُّ مسخاً مشوّهاً
حكى جلدهُ اللدنُ الطريقَ المحصّبا

فما فيه ما يُرضي العيونَ وانما
بــهِ كل ما يرضي الشعور المهذّبا

ترى وجههُ كالقفر حرّان مجدباً
وما خلقهُ كالروض ريّان مخصبا

فيا لك قفراً لا نرى غير شوكهِ
ويا لك شوكاً يبعث العرفَ طيّبا

ويا لكِ دنيا بين حينٍ وآخرٍ
تمتّع محروماً بما عزّ مطلبا

. . .

تعمّدتِ الاقدار ارهاقَ أحمدٍ
فاسمعها آياً من الهزء معرَبا

وحاكت له ثوباً قشيباً من الاذى
فحاك لها ثوباً من السخط أقشبا

وأدّبت الدنيا بنيها فهالها

فتىً هالهُ ان لا يكون المؤدّ بِا

وما عرفت نفساً اعزَّ ولا حجىً

أصحّ ولا عوداً اشدّ واصلبا

رأت في صباها شيبهُ فتعجبت

وشبّ لدُن شابت فزادت تعجُّبا

خلودٌ لو أنّ الشمسَ تحظى بمثلهِ

لما جاء في التنجيم عن موتها نبا

فتمد يطفىءُ الموتْ الكواكبَ تاركاً

على رغمهِ فوق السماكين كوكبا

ويمحو جميعَ القول الاّ حقيقةً

تجوب فجاج الارض شرقاً ومغربا

ليعرُبَ هذا المجدْ يا ولدَ يعربٍ

فأيّ كريم لا يمجّدُ يعربا

وللشام هذا الارثُ يا آل جلّقٍ

ألا فليته لبنـــان ولتشمخ الربى

ولو شاءت الدنيا الى الحق عودةً

لسارت الى ارض المعرّة موكبا

وحجّ ضريح الشيخ طلاّبُ علمهِ

كما حجّ طلاّب التبرّك يثربا

. . .

الا ايها الاعمى البصير الذي رأى

بفطنتهِ قلبَ الورى المتقلّبا

وأبصر بالعقل الخفيّات كاشفاً

وراء التقى والبرّ مكراً ومأربا

ولم يرَ في الاديان الاّ حبائلاً

يصيد بها الداعي اليها التكسّبا

حنانيكَ إنّ الألف مرّت ولم نزل

نداري من الانسان صلاًّ وعقربا

توخيتَ إصلاح ابن آدمَ غيرةً

وقد كان إصلاح السراحين أقربا

وحاولتَ إطفاءَ الشرور ولم يكن

على الشيخ إطفاءُ البراكين أصعبا

ومن رام تقويمَ الطباع التي التوَت

قضى يائساً منها كما عاش متعبا

فإنّ الذي غادرتهُ متعصّباً

لقد زادهُ مرُّ الليالي تعصّبا

وما خفتت في اللاذقية ضجةٌ

وما زال ذيّاك الصحيح محجبا

وما الناس الاّ اثنان ضارٍ مدجّجٌ

ومستضعفٌ لم يُعطَ ناباً ومخلبا

وإنا لنخشى أن نصاحب ضيغماً

وإنا لنأبى أن نصاحب ثعلبا

وما عزّ من يسطو على حقّ جارهِ

ولو مدّ بين الارض والشمس لولبا

وما ذَلّ حقٌّ في عراكٍ لباطلٍ

وكم ربّ حقٍّ قد أُذِلَّ وخُيّبا

وليس يفيد الحقُّ في الحرب ربَّهُ

اذا فُلّ في الكفّ المهند أو نبا

وفيمَ اقتتال الناس والموتُ قصدهم

سيبلغه من طار منهم ومن حبا

فلو أنفقوا بعضَ الذي ينفقونهُ

على الشرّ من جهدٍ على الخير ما كبا

قد اختلفوا روحاً وعقلاً وفطرةً

كما اختلفوا داراً وديناً ومذهبا

لهم مجلسٌ للسلم تمتدُّ فوقهُ

سحائب نقعٍ تترك النور غيهبا

اذا اجتمعوا فيه لترتيب خطةٍ

توقَّعتِ الأعزال شرّاً مرتّبا

وإن أنصفوا شعباً ضعيفاً بقولهم

رأى نصفهم بالفعل ظلماً مشعّبا

ولو وصلت أبحاثهم في اجتماعهم

الى الشيخ وهو الجهم بالضحك أغربا

. . .

فيا من رأى في الدين قيداً لعقلهِ

فأعمل فيه مبردَ النقد مغضبا

فلم يرَ في اللمّاع من حلقاتهِ
وفي قفلهِ الاّ حديداً مذهبّا

فأعلن للغاوين لا متهيباً
ولا طامعاً ما كان عنهم مغيبّا

«أفيقوا أفيقوا يا غواة فإنما
ديانتكم مكرٌ» واحلامكم هبا

فما عملوا الاّ بوحي قلوبهم
فأعرض عنهم مشفقاً متعتّبا

وآثرَ أن يحيا بقيةَ عمرهِ
سجيناً اذا جاءوا يؤاسونه أبى

على انهم لا مهربٌ من مجيئهم
كما جاء ظمانٌ نميراً ليشربا

عطاشاً الى ما يُسكر النفس حولهُ
جياعاً الى ما يُشبع العقلَ سغّبا

صبابتهم شعرٌ وعلمٌ وانهُ
خزانة أشعارٍ وعلمٍ لمن صبا

يقول لهم عودوا الى العقل كلّما
دعيتم الى تصديق ما العقل كذّبا
من اشتار ما كدّت له النحلةُ اعتدى
ومن قتل الشاةَ البريئة اذنبا
ومن سرّح البرغوث من اسر كفّه
أُعِدَّ لهُ في دولة الفضل منصبا
تعاليمُ إحسان وعطفٍ ورأفةٍ
وليدة فكرٍ نوره قطّ ما خبا
ولكنها ما دام للشرّ عزّةٌ
فتابعها يقضي شقيّاً معذّبا
وما دام ناب الليث يوليه حرمةً
فاهلاً وسهلاً بالنيوب ومرحبا

. . .

سلامٌ امامَ العاقلين على حجىً
من الشمس يحكي قرصها المتلهّبا
ألوفٌ وراء الألف تمضي وذكرهُ
يظلُّ لأمثال الخليقة مضربا

الفخرية

لقاؤك أوحى ما سأُلقيه من فمي

على مسمع الاجيال فاسمعه واحكمِ

اذا لم أُجد فالذنب ذنبي وإن أُجده

فقد أحسن الموحي الى المتكلمِ

رسول الشآم الحرّ فخري وفخرها

وفخر الشباب الناهض المتعلّمِ

حملتَ الينا من ربى الشام نفحةً

عرفنا بها الفردوس عند التنسّمِ

وعادت بنا الذكرى الى مسرح المنى

وملعب اشباح الهوى والتنعّمِ

---

* وهي قصيدةٌ نُظمت استعداداً للاحتفال بزعيم الشباب فخري البارودي وكان قد أعلن انه قادمٌ الى البرازيل، على ان هذه الامنية لم تتم.

كأنّا رأينا اذ رأيناك جلّقاً
بأمجادها في عصرها المتقدّمِ
متانة ايمانٍ بغير تعصّبٍ
وعزّة سلطانٍ بغير تحكّمِ
ولينٌ على بأسٍ ولطفٌ على علىً
ومحكمةٌ ساوت بغاثاً بقشعمِ
سقى بردى اغراسها فتألّقت
بما اطلعته من شموسٍ وأنجمِ
ففي كلّ ارضٍ كوكبٌ من سمائها
اليها على هول المسافات ينتمي

. . .

فتى الشام هذي الشام يلقاك أهلها
دموعهم في العين والحمد في الفم
وما كان اهلُ الشام الاّ جواهراً
اذا انتسبت متّت الى خير منجمِ
جواهر ذرّتها الخطوب ولم تزل
تدلّ على تاجٍ عظيمٍ محطّمِ

فيا ليت شعري هل نرى تاج يعربٍ
على رأس موهوبٍ من العرب ملهمِ
يؤلّفهُ مما تشتّت قبلهُ وينظم فيه الدرَّ غير المنظّمِ
ويُلقي على حباتهِ عين قادرٍ
تآلفَ ألوانٍ بشكلٍ منمنمِ
ولا يفضل الكبرى على اخواتها
فللتاج في تنويعها سحرُ ميسمِ
وما لي وللألغاز ما كنت اشتهي
فتاةً تحييني بوجهٍ ملثّمِ
نريد لكي نمشي مع الناس دولةً
موطّدةً بالعدل تنمو وتحتمي
شرائعها تُلغي الفروقَ وإن أبى
جلاذيُّها زجَّت بهم في جهنمِ
فلا مؤمنٌ يمشي على حقّ كافرٍ
ولا مسلمٌ يعلو على غير مسلمِ
ولا منصبٌ حلٌّ لأبناء ملّةٍ
ومن يبغهِ من سائر الناس يأثمِ

اذا لم يكن لي من ابي ما لأخوتي
وقاسى عذاب الموت لم أترحَّمِ
وما بيَ اطماعٌ أثارت تألُّمي
ولكنَّ حرماني مثيرٌ تألّمي
يقيناً لو انّ الله لم ينهَ آدماً
لما هزَّهُ شوقٌ لأكل المحرّمِ

. . .

فهل يا رسول الشام يا خيرَ مرسلٍ
تبشّ لنا الايام بعد التجهمِ
وتصفوا الليالي بعد طول اعتكارها
ويجلو يقين العلم شكَّ التوَهُّمِ
فنعرف أنّا أخوةٌ وبنو أبٍ
هو الوطن المحبوب غير المقسّمِ
وامٍّ نسمّيها العروبةَ أرضعت
بنيها بثديٍ بالمحبة مفعمِ
لزاماً علينا ان نزيل بحبها
فوارق تلوي كلَّ عقلٍ مقوّمِ

وان نهدمَ السدّ الذي حال بيننا

وها قد بدأنا هدمهُ فلنتممِ

فإن محت الأنوار ما ثَـمَّ من دجىً

وحلّ التداوي في محلّ التسممِ

وزالت خرافات العصور عن النهى

وأُطلقت الافكار من كل أدهمِ

فقد تجمع القربى عنيداً مقلنساً

بأعند منه في الخصام معممِ

وقد يلتقي اصحاب عيسى وأحمدٍ

لدى رايةٍ منصوبةٍ عند زمزمِ

فتنهض اوطانٌ وتسمو عروبةٌ

وتجري العوافي في شرايين مسقمِ

وتُقطع كفُّ الغرب وهو يمدّها

الينا بجامٍ فيه شهدٌ بعلقمِ

فما أنعمَ الغربيَّ عند احتياجهِ

ولكنها منه نعومةُ أرقمِ

يريكَ ابتسامات الولاء وقلبهُ
يُقلّبُ في جمرٍ من الغلّ مضرمِ

ويلبس جلدَ الكبش وهو محدّدٌ
ليفتك بالواهي مخالبَ ضيغمِ

فلا ترجُ ممَّن يقذف البحر نعمةً
فأزهدهم يرجو معاداً بأنعُمِ

وسيان من يأتيك منهم بمصحفٍ
شريفٍ ومن يأتيك منهم بمعجمِ

ففي جبَّة القسّيس اطماع دولة
واحلام اخرى في قميص المعلّمِ

وكلٌّ بلادٍ عزَّ فيها رسولهم
لصائرةٌ حتماً الى الذلّ فاعلمِ

يعزّ عليهم عن حمانا انتزاحهم
وليس من السهل انتزاح المتيّمِ!

ولو فارقونا سوف تبقى عيونهم
كأغربةٍ حول الشواطىء حوّمِ

اقاموا جنوباً لابن عمرانَ دولةً

وشادوا شمالاً دولةً لابن مريمِ

وما همهم هذا ولا ذا وإنما جريمةُ محتالٍ وحيلةُ مجرمِ

يريدون سدّ البحر في وجه امةٍ

اذا غضبت اجرت بحوراً من الدمِ

وما كان عمرُ الدولتين مخلّداً

ولكنه باقٍ ليومٍ عرمرمِ

ليومٍ به نمحو الحدودَ ونلتقي

بني امّنا تحت اللواء المنجّمِ

ونقذف بالعبدان من كل ملةٍ

«الى حيث ألقت رحلها امُّ قشعمِ»

. . .

بني الوطن الهاني بعودة اسدهِ

الى الغاب هذي فرصةٌ للتقدّمِ

يصدُّ أتيّ السيل سدٌّ مصفحٌ

وينفذ طلٌّ في الجدار المدَّمِ

وما ابتسم الصمصامُ الاّ لأنه
رأى اللحمَ رخواً وهو صلبُ المقدّمِ

فكونوا يداً في الحادثات فربما
غلبتم كثيراً بالقليل المنظَّمِ

وقولوا لمن في الطود يُلقي شباكهُ
ليصطادَ لن تصطادَ غير التندُّمِ

اذا اسطعتَ حملَ الطود تستطيع فصلهُ
عن الشام فاخرص كيفما شئتَ وازعمِ

ستعلم والماشون خلفك انكم
مشاةٌ على بركان سخطٍ مكتَّمِ

وأنّ البراكين التي ظُنّ انها
خبت نارها تأتي بأدهى وأشأمِ

تريدون حجب الحقّ والحقُّ واضحٌ
لكلّ امرىءٍ الاّ لمن طرفهُ عمي

وسجنكمُ الاحرارَ في كلِّ فتنةٍ
دليلٌ على خوفٍ عليكم مخيّمِ

همو أوجدوا حزبَ الحياة وإِنهُ

لَحزبٌ سيأتيكم بموتٍ محتَّمِ

لئن تقتلوه اليومَ يقتلكمُ غداً

بما فيه من عزم الشباب المهمهمِ

فإِن قتيلَ الظلم يقتل خصمهُ

بذي شطبٍ عاصٍ على الدهر لهزمِ

لقد قتل الباغي علياً ولم يزل

حسامُ عليٍّ في لهاة ابن ملجمِ

ومذ صلبت عيسى اليهودُ فإِنها

تقوم بأعباء الصليب وترتمي

وما كان يغني حاضرٌ متألقٌ

اخا الظلم عن مستقبلٍ جدّ مظلمِ

. . .

فيا فخرِ صح بالطود ان لا سلامة

ولا عزّةً ما عزّ روح التقسُّمِ

تعصبهُ فابضع وإِلاّ فإِنهُ يموت بهذا الدمَّل المتورّمِ

خلود الفتوّة

سكرٌ من الالحاظ والاكوابِ
غَمَرَ الوقار بموجه الوثابِ
لو أنّ ما بي منه كان بناسكٍ
غنى الجمالَ بمعزفٍ وربابِ
في الخمر للمغرى بها سببٌ وفي
هذي العيون بقيةُ الاسباب
يُضرمنَ فيه لظى الغرام بنظرةٍ
مشروحةٍ عبثاً بألف كتابِ
سرُّ الحياة، وما الحياة وسرّها
الاّ بنظرة يافعٍ وكعابِ
قصرُ الوجود عليه قام وكوخهُ
وخباوءهُ المشدود بالاطنابِ

فإذا تلاقى الناظران تولّدت
دنيا معطَّرةُ الثرى بملابِ
وتمتّعَ الفاني ببضع دقائقٍ
غرٍّ كأيام الخلود عذابِ
وتعطَّشت حرّى القلوب الى الهوى
والى سماع حديثهِ الخلاّبِ

. . .

لهفي على عهد الصبا لم يبقَ لي
منه سوى امنية المتصابي
ولّى وقد ولّى الربيع أما ترى
طيفَ الخريف يطوف بالابوابِ ؟ !
وغدا الحسان اذا جلسنَ الى الهوى
بين الخمائل ما حسبنَ حسابي
والظلم كلُّ الظلم أن يضحكنَ من
شيبي وهنّ الناهبات شبابي
من ذا يقول لهنّ إنّ لهنَّ في
قلبي من الحبّ القديم مخابي

وطلائع الشيب التي طلعت على
فوديَّ لم تطلع على اعصابي

وأظافر الدهر التي لغرورها
خدشت قشوري لم تمسَّ لبابي

الدهرُ يعجزُ عن فتوّة شاعرٍ
عاصٍ على حدثانهِ غلاّبِ

غزِلٍ اذا غنّى الهوى لرواهبٍ
لازمنهُ وتركنَ كلّ ثوابِ

نهِمٍ الى أكل الجمال وشربهِ
متعففٍ عن مأكلٍ وشرابِ

شرُّ المجالس مجلسٌ لا يزدهي
بزواهر الوجنات والاثوابِ

والعيش وهو بهنَّ أعذب موردٍ
ما كان لولاهنّ غير سرابِ

هنّ النجوم ورصدهنّ لبانتي
أنّى اتجهنَ أدَرتُ اسطرلابي !

الريحانية

العربُ حانيةٌ على لبنانِ

ولهى تسائل عن فتى غسانِ

أودى الحكيمُ حكيمها فنفوسها

تجري مع العبرات ِملأجفانِ

قلبُ العروبة يـا امين تركته

في قلب عاصفةٍ من الاحزانِ

تعلو بهِ طوراً وتهبط تارةً في الثلج آونةً وفي النيرانِ

ليت المنية أمهلتك لكي ترى عما ستسفر ثورة البركانِ

أيظلُّ قومك كالذئاب تقاطعاً

واذا الذئاب عدت فكالحملانِ

---

* أنشدت في الحفلة التأبينية التي احيتها الجالية العربية في سان باولو لفقيد العلم والادب امين الريحاني، وذلك في شهر كانون الثاني سنة ١٩٤١

امْ تنجلي هذي الغمامةُ عن ضحىً

وردية النفحات والالوانِ

لهفي عليك، غلطتُ بل لهفي على

شعبٍ تشعّبهُ يدُ الحدثانِ

أحببتَهُ والحبّ قرّب أرضهُ

وكسا بواديها اخضرارَ جنانِ

واذا الطريق الى «الرياض» حديقةٌ

مرصوفةٌ طرُقاتها بجمانِ

واذا الامين على الذلول كانهُ

شيخ الدواسر او فتى العجمانِ

واذا به يلج العرينةَ شاحذاً

للعرب بيضَ ظبىً وبيض أمانِ

. . .

اِني سأذكر ما حييتُ سياحةً

رافقتُ فيها (سائق الاظعانِ)

متنكراً متقمصاً اشخاصها

متجرّداً ما شئت عن جسماني

امشي الى جنب الامين ولم يدرُ

في فكرهِ أني مع الركبانِ

ظلاًّ يسير مع الظلال ونسمةً

تسري مع النسمات، كان يراني

أو نجمةً ترنو اليه تحبباً والليل صافٍ والنجوم دوانِ

وهناك في السفر الطويل خدعتهُ

بقيافتي وسحرتهُ ببياني

نيلتُ جسميَ «كالزيود» جهالةً

ورقصتُ حول النار «كالاخوانِ»

طوراً كنجديٍّ اروح واغتدي

فوق الرمال وتارةً كيماني

ولكم جلستُ على الثرى متربعاً

بين الاديب الفذّ والسلطانِ

ولطالما آنستهُ وجعلتهُ

ينسى فراق الاهل والخلانِ

هذي صغائر من حوادث رحلةٍ

اخبارها انتشرت بكل مكانِ

هي رحلة العربيّ قام بها على

رغم العداة لخدمة الاوطانِ

فاذا بنينا للعروبة دولةً فالفضل معظمهُ لهذا الباني

وإذا حنينا الهام اجلالاً لها فلنحنها ليراعة الريحاني

. . .

يا ابن «الفريكة» والفريكة قريةٌ

بلغت بفضل نهاكَ أعظم شانِ

فلقد جعلتَ لها وانت وحيدها

صيتاً كصيت (معرّة النعمانِ)

شيخ المعرّة زاد فيك معزّةً لما ظهرت بــه بلفظٍ ثانِ

بيَّنت «لِلُوردات» بعض اشعةٍ

من شمسه فهوَوا الى الاذقانِ

ولو انهم عرفوا الحياء تورّعوا

عن سلب شعبك أقدس البلدانِ

لكنهم وهمُ اللصوص طبيعةً

وهم عبيد الاصفر الرنانِ

باعوا بلادك لليهود وأنزلوا

بالعربِ اشكالاً من الطغيانِ

حتى اضطررتَ الى الرجوع اليهم

بحماسة المتظلّم المتفاني

متنقّلاً فوق المنابر فازراً

دعوى الطغاة بمبضع البرهانِ

ولكان حالفك النجاحُ لو انهم

قبلوا بوضع الحقّ في الميزانِ

إنّ القويَّ بمالهِ وسلاحهِ

يمشي على حق الضعيف العاني

وضلالة المتعصبين سحيقةٌ وعميقةٌ كضلالة العميانِ

لكنّ ربك وهو ليس بغافلٍ

عمّن يبادي الناس بالعدوانِ

ما أن رآك عجزت عن إقناعهم

ورأى تحالفهم مع الشيطانِ

حتى دعاك اليه منتدباً الى تهذيبهم جلفاً من الجرمانِ

فمضى يكيل لهم كما كالوا لنا

ويذيقهم طعم الردى بهوانِ

لا يبلع الافعى سوى الافعى ولا

يسطو على ذئبٍ سوى سرحانِ

ولقد يذلُّ الله (لورداً) شامخاً

كبراً على يـد مدقعٍ دهانِ

. . .

أأخا العروبة والعروبة بيننا صلة الإِخاء وعقدة الايمانِ

ومنارة الامل الذي يُرجى به

طربُ النفوس وصحةُ الابدانِ

لا كان هذا البرق اِنّ لسانهُ

للنفث مأخوذٌ من الثعبانِ

لما نعاك نعى اليّ اخي الذي

لم ألقه من اربعٍ وثمانِ (١)

---

(١) المرحوم سليم فرحات اخو الناظم وقد توفي والريحاني في آن واحد.

فشعرتُ أنّ الدهر سدّد سهمهُ

ورمى فمزّق مهجتي وجناني

ووقفتُ بين النكبتين كأنني

حملٌ تناوب نهشهُ ذئبانِ

ابكي معزّزَ امتي ببيانه ومعزّزَ البيت الذي رباني

ابكي معلّمَ أُمتي مع امتَّي

ابكي اخي الحاني على اخواني

من لا يحسّ بجرحهِ مع نفسهِ

هيهات ليس يحسّ مع انسانِ

واذا بخلتَ على الشقيق بدمعةٍ

هزأ الغريبُ بدمعك الهتانِ

. . .

اِني ليُعجزني رثاءُ مخلَّدٍ

بنبوغــهِ باقٍ على الازمانِ

ماذا اقول لمن بكى متحسّراً

في عيد لبنــانٍ على لبنانِ

ولمن رأى تلك الحدودَ مكيدةً

يَهُنِ البريءُ بها ويقوى الجاني

ولمن أغار على التعصّب غارةً

هزّت معاقلهُ من الاركانِ

ولمن قضى العمر الطويل مجاهداً

لا هارباً فرَقاً ولا متواني

خدَمَ البلادَ فما استطال ولا زها

بزعامةٍ كزعامة الصبيانِ

وهناك من يبغي العلى وجهادهُ

دعوى كصوت الطبل في الآذانِ

• • •

هذا رثاؤك يا امين وإنهُ

كَلِمٌ تُصاغ لخالدٍ من فانِ

أوحت اليّ به حياتك شائداً للحب بين معاول الاضغانِ

العرب عندك أخوةٌ وكأخوةٍ

يتعايشون غداً فنم بأمانِ

وداع بارانا

بَرَ َنا جوارك ِ عذبُ
بَرَ َنا فراقك ِ صعبُ
لأنت ِ اكـــرم دار ِ
وأنت مهدُ صغاري
ففيك ِ أزهرَ قلبي
وفيك اثمر حــبي
ومن فتون حسا تك
ومن عبير جنا نك
ومن صفاء سمائك
ومن عذوبة مائك
ومن هبوب نسيمك

---

* قضى الناظم في ولاية بَرَ َنا أطيب ايام حياته، فلما عزم على الانتقال باسرته ِ الى ولاية ميناس اقامت له جالية كوريتيبا، حاضرة تلك الولاية، حفلة وداع شائقة، ألقى في نهايتها هذه القصيدة.

ومن بريق نجومك

ومن اريج ثراك

ومن غنا (صبياكِ)

اخذتُ ألطف شعري

وصغت اشرف درّي

. . .

بسرنا اليكِ حنيني

على اختلاف السنينِ

نثرتُ فيك شبابي

كما نظمت كتابي

وقد نظمت حياتي

كما نثرتُ هباتي

وهل هبات اديبٍ

نصيبهُ كنصيبي

الاّ شعور فؤادِ

يفيض في كلّ نادِ

وغير عطفٍ شديدِ

وغير حبٍّ اكيدِ
يروي عطاش النفوسِ
بخمرةٍ في كوءوسِ
هذي هبات الفقيرِ
ربّ الفوءاد الكبيرِ

• • •

بَرَنا صدور شبابك
مكشوفةٌ كهضابك
وكالصنوبر فيكِ
سامٍ شعور بنيكِ
لئن هجرت رباكِ
وغاب عني سناكِ
فإنّ ذكرَ رفاقي
معي مدى الدهر باقِ
وذكر هذا الوداعِ
وذكر كلّ اجتماعِ
وذكرياتِ الشبابِ

وذكريات التصابي

مسطورةٌ في فؤادي

كذكريات بلادي

وإن ذكركِ خمري

الى نهاية عمري

كوريتيبا ٢٣ كانون الثاني ١٩٤١

كالطير!

كم شاعرٍ يسمو بغير جنى قريحته قريضُه

كالطير تحضن كلّ بيضٍ ليس تسأل من يبيضُه

سلام وحنين

مضيتُ وآمال الشباب امامي
وعدتُ وآلام المشيب لزامي

تغيَّبتُ عن مغناكِ عشرين حجةً
وخمساً ولم يخمد سعيرُ هيامي

حملتكِ في عيني وقلبي وخاطري
الى كلّ صقعٍ شاسعٍ مترامِ

وفاخرت (شقراءَ الجنوب) وأهلها
بسمراءَ يندى خدُّها بمدامِ

ولو لم تكُ الشقراءُ في الحسن فتنةً
لما طال في تلك الربوع مقامي

ولو لم تكوني آية الحسن لم أَعُد
اليكِ بأشواقٍ تدقُّ عظامي

---

* قالها في مدينة (الافق الجميل)، بيلو اوريزونتي، حاضرة ولاية ميناس، على اثر رجوعه اليها، وكان قد فارقها ٢٥ سنة.

فلو أبصرت عيناك يومَ وداعها

دموع الاسى لم تفرحي بسلامي

وفضّلتِ أن أبقى لديها وان رمى

فؤادك ظنٌّ خاطئٌ بسهامِ

اذا كرُمت حسناءُ صبّت حنانها

على غيرةٍ حمقاء ذات عرامِ

وضحّت بما في قلبها من صبابةٍ

لتبرىءَ قلباً بالصبابة دامي

. . .

احنُّ الى ذاك الصنوبر ناشراً

غماماً من الاغصان تحت غمامِ

وأصدى الى الخمر التي في ظلالهِ

رشفتُ بثغرٍ باسمٍ وبجامِ

وأشتاق اخواناً كراماً هجرتهم

الى اخوةٍ غرّ الفعال كرامِ

فما برح الحسّاسُ في لجّ زاخرٍ

من الشوق غازٍ للاضالع طامِ

يُقلّبُ في ضحضاحهِ وعبابهِ

ويشرب ما فيه لغير أُوامِ

لقد صرتُ اشتاق الذين تركتهم

وكم كنتُ اشتاق الذين أمامي

فمن لي بجمع الأهل والصحب كلهم

فلا أرهب التشتيتَ قبل حمامي

ولا ألتقي حولي سوى كلّ مخلصٍ

وفيٍّ لعهدي حافظٍ لذمامي

اذا قال لـم يثقل عليّ كلامهُ

واإن قلتُ لم يثقل عليه كلامي

وما ذام اصحابي الوفيين فقرهم

وما فقر محمود الخلال بذامِ

فاإنّ لهم من عزّة النفس ثروةً

تحقّر في عينيَّ كلّ حطامِ

صروح الغنى تنهار اإن لم تشدّها

دعام علىً مشدودةٌ بدعامِ

ويبذخ كوخٌ فيه ومضٌ من الهدى
على باذخٍ ما فيه غير ظلامِ

وإِني لأغنى الناس ما دام لي نهىً
وعرضٌ وعندي كسوتي وطعامي

ولست بمحتاجٍ الى عون موسرٍ
اذا كان فيه ما يمسّ مقامي

اذا لم تكن نفس الغنيّ غنيةً
بإِحساسها فالمال مالُ حرامِ

وما انا ممن يحسن الظنّ في غنىً
طويلٍ عريضٍ في الخصاصة نامِ

فإِمّا قضى جارانِ جوعاً وتخمةً
نثرتُ على قبر الفقير خزامي

ورُبّ غنيٍّ حبّهُ المالَ قادهُ
الى طرُقٍ مكروهةٍ بزمامِ

بخيلٍ اذا المحتاجُ مرَّ ببابهِ
رآه بعين المبصر المتعامي

مطامعهُ يقظى ولكن ضميرهُ

ينـــام خليّاً فوق ريش نعامِ

وجيرانهُ صرعى الطوى ولجارهم

ركامٌ من الاقوات فوق ركامِ

. . .

سلامٌ على عهد الصبابة والصبا

ومـــا فيهما من يقظةٍ ومنامِ

سلامٌ على جهلٍ تلاشى بحكمةٍ

تلاشيَ فجرٍ ضاحكٍ بقتامِ

فجهل الفتى يُبدي له القفر جنّـةً

وحكمتهُ تبدي الجنانَ موامي

خذوا الحكمةَ الشمطاءَ عني فإنها

لجامٌ وساءت عيشةٌ بلجامِ

وهاتوا ليَ الجهلَ الفتيَّ لانهُ

اذا رام امراً داس كلّ ملامِ

اريد الى هذي المدينة عودةً

بطيشي واحلامي ولين قوامـــي

اريد اليها عودةً بفتوتي لأبحث فيها عن بعيد مرامي

فقد عرفتني طائراً في رياضها

وحولَ ربىً تحتاطها واءِكامِ

سلِ النهرَ والغدرانَ والفجرَ والدجى

عن الهادل الباكي كفرخ حمامِ

وسل روضها تنبئكَ عني فاءِنها

لتذكر شيئاً من حديث غرامي

فيا طالما ساهرتُ فيها نجومها

اداوي بمعسول الرجاء سقامي

الى أن توارى الأسودُ العبدُ حرمةً

لشرقيةٍ تبدو بغير لثامِ

لقد راح ربعُ القرن بالعمر راكضاً

فكان على طول السنين كعامِ

أضعتُ شبابي فيه ثم لقيته بفرعي فوءادي خالدٍ وعصام

وبسمة ليلى في دجى كلِّ حادثٍ

هداي وفي حرب الزمان سلامي

وعين مُنى توحي السعادةَ والمنى

وكل جميلٍ في الحياة وسامِ

وهذا الذي ياجنتي عنك قد نأى

غلاماً يعود اليومَ غيرَ غلامِ

يعود إماماً للقريض وماله

سوى نفسهِ من مرشدٍ وإمامِ

حببتكِ حبي للشآم وإنه

لأثبتُ حبٍ فيَّ منذ فطامي

فان يسمح المولى اليها برجعةٍ

رجعتُ وإن يمنع فأنت شآمي

النحل

رأيتُ النحلَ ما ينفكّ بالازهار مهتمّا
فيشبع هذه لثماً ويوسع هذهِ شمّا
اذا ما جال في روضٍ سباها خيرَ ما ثَما
وصاغ الشهدَ أقراصاً نرى إتقانها جما
فمن علّمه التوفير والبخل بمـا لمّا
ومن حوّل بعض الشهد في ابرتهِ سمّا ؟ !

. . .

هو ابن الفطرة المضطر ان يحترم الأُمّا
فما يأتيه من فعلٍ على طاعتهِ نمّا
فلا تمدح اذا سرّ ولا تشتم اذا غمّا
فما يستأهل المأمور لا مدحاً ولا ذمّا

فقري توأمي

حملتُ قدام جيش الفاقة العلما
ورحتُ اخترق الادغال والاجما
ادغال بؤسٍ ضواري الغمّ جائلةٌ
فيها تصيّدُ من ارواحنا غنما
ففي السهول عواءٌ لا انقطاع لهُ
وفي السفوح زئيرٌ يصدع القمما
وفي الشعاب فحيحٌ لو ألمّ بهِ
مستيئسٌ لتمنى سمعه الصمما
اما انا فرجائي يستحيل الى
سحرٍ يحوّل أقسى نبرةٍ نغما
إني لأحمل ثقلَ الفقر منتصباً
عالي الجبين وألقى الدهر مبتسما

وأستعين على يومي بذكر غـدٍ
يصوغهُ واهمٌ من خير ما وهما

حتى اذا جاء منحوساً كصاحبهِ
وشحتهُ بحريرٍ يستر الورما

وكلّما رثّ يومٌ جدّ لي املٌ
بآخرٍ مقبلٍ يُقضى عليه كما...

وهكذا تذهب الايام جارفةً
من قال شعراً ومن غنّى ومن بكما

أمَّا الذي مات منا قبل مولدهِ
فهو الشقيُّ الذي لم يعرف الألما

ما اجتاز معتسفاً غاب الخصاصة في
ليل الخطوب فأدمى الكفَّ والقدما

ولا رأى في صحارى العيش زهرةً
فجاءها برجاءٍ وانثنى بظما

ولا استدان على يسرٍ وأقبل في
يوم الوفاء يجرُّ العسرَ والندما

ولا أعاد بحرمانٍ أخا طلبٍ
فكان اهدأ نفساً منه من حرما
من عاش دهراً ولم يعصر سلافته
من حنظل الحظّ ولّى مثلما قدما

. . .

وليس فقريَ طفلاً عمرهُ سنةٌ
لكنه توأمي لما نمَوتُ نما
فلا ألوم على ما منه بي احداً
ولا أعاتب لا ربّاً ولا صنما
وإنّ ربَّةَ بيتي غير مذنبةٍ
ما ذنبها وانا عوّدتها الكرما
لا ذنبَ الاّ على كفٍّ بليتُ بها
إن تأخذ النيلَ تعطِ النيلَ والهرما !

جويز دي فورا ١٩٤١

مداعبة

أكسرتَها وهي التي حملتك من عهد الفطام
وتحمّلت قبل احتلامك منك شيطنةَ الغلام
ومشت وانتَ فتىً بطيشك في سراديب الغرام
وتحمّلت صبراً وانتَ تسومها الكرَبَ الجسام ؟ !

. . .

ثقلت عليها جبّةٌ لو جلّلت جملاً لنام !
نُشرت عليها لحيةٌ شمطاءَ تضحك في الظلام
ولَهانَ حملُ النكبتين لو انهُ مسك الختام
إِن التظاهرَ بالتقى كافٍ لتحطيم العظام !

---

* عثر صديقه الخوري جورج قصاص فكسر رجله فأرسل اليه هذه الابيات.

كوريتيبا

– مدينةُ احلامي –

ليالي َّ، رَدّ الله تلك اللياليـا

ولو ردّ معهنّ الجوى والاسى ليا

تضاحكَ فيهنّ الصبا وتراقصت

حواليه اشباح الاماني عواريا

وطافت عروسُ الشعر بالكأس واللمى

علينا فروّت خافقاتٍ صواديا

تذكّرني الانسَ الذي زال وحشةٌ

أزول عن الدنيا وتبقى كما هيا

وما هيَ الاّ ظلمةٌ فوق ظلمةٍ

على ظلمةٍ أُخرى تغطي فؤاديا

فلو كنتُ ممن يخدعون نفوسهم

لأبصرتُ في المرآة ماضيَّ آتيا

وأيقظتُ آمالي وقلتُ لها البسي

حلاكِ فإنّ الامسَ قد عاد ثانيا

ولكنني والحمد لله عاقلٌ وأعقل ممن يكثرون الامانيا

أقيس المدى بين الضلالة والهدى

وما هوَ قدامي على ما ورائيا

وأعلم أني ان اعدتُ صبابتي

بذكر شبابي لن اعيدَ شبابيا

. . .

مدينةَ احلامي أسوق تحيتي

اليكِ وأُلقي من بعيدٍ سلاميا

ويا جنّةً نوحُ الصبّا في خريفها

على الصيف يُبكي طيرها والسواقيا

لقد كنتِ لي دنيا جمالٍ ولذّةٍ

تُبيح الذي كان الحجى عنه ناهيا

فكم ليلةٍ لي من لياليكِ قرَّةٍ

تشرّدتُ فيها وارتكبتُ المعاصيا !

وما كنتُ لولا فتنةُ الحسن خالعاً

عذاري مبيحاً للغواني قياديا

ولكنّ سحراً في صباياكِ فعلهُ

يعلّم أتقى الناسكين التصابيا

يمسنَ بامثال الافاعي ليانةً

ولا سمّ يسري لو لمسن الافاعيا

ترى خدّ احداهنّ كالورد زاهياً

فتنشق منه الوردَ ريّان زاهيا

تبدَّلُ اصنافُ الكساوي وجسمها

بمخلهِ الورديّ ما زال كاسياً

جسومٌ من الاصداف صيغت بدقّةٍ

لتحفظَ من ارواحهنّ لآليا

كؤوسٌ من البلّور فيها مدامةٌ

معطرةٌ من ذاتها عاش هانيا

عجبتُ لمن يبغي المجرّةَ راصداً
ولا يرصد (الكنزي) بعينيه رانيا

وقد علمَ الروّادُ أنّ نجومهُ
أشدُّ واسمى رونقاً ومعانيا

فإن كنتَ صباً يقدر الحبَّ قدرهُ
وكنتَ بأسرار المحبين داريا

وكنتَ ترى في الحسن سرّاً مقدّساً
سوى عن رجال الشعر والفنّ خافيا

فزر «كورتيبا» والتزم اوّل الدجى
مجرتها وارصد هناكَ الدراريا

دراري إنسٍ مدلجاتٍ تنزُّهاً
رويداً رويداً باسماتٍ تغاويا

صفوفاً على عرض الرصيف وطولهِ
كامواج نهرٍ ذاهباتٍ أواتيا

فيا لك نهراً يحمل الحبَّ غائصاً
الى أبعد الاغوار والحسنَ طافيا

على شاطئَيه قام صفّاً بطولةٍ
بطولة عشاقٍ تناجي الغوانيا
فأيٌّ شجاعٍ خاض نهراً مكهرباً
كهذا ولم يسقط على الشطِ واهيا ؟ !

. . .

حنيني الى تلكَ الروابي أفادها
جمالاً وقد كانت تفوق الروابيا
وشوقي الى زَين الحواضر مانعي
من النوم فهو الشوك يحشو فراشيا
وإني لأشتاق المغاني وأهلها
وأهلَ المراعي حولها والمراعيا
وأحسد ذا ريشٍ على الغيم طائراً
وأحسد ذا ظلفٍ على الارض ماشيا
وأسائل انسامَ الجنوب عنَ الأُلى
سأذكرهم مهما تناسوا وداديا
ومهما يحط بي منْ سرورٍ وغبطةٍ
يظلّ لهيب الوجد للقلب كاويا

أُساير اخواني القريبين ضاحكاً
وأذكر اخواني البعيدين باكياً

ويا طالما عنَّفتُ نفسي لأنها
نأت عن ربوعٍ انسها كان دانياً

صحبتُ الصبا فيها ولما هجرتها
الى غيرها خلّفتهُ ثَمَّ ذاوياً

فلو جئتُ أبغي حاجةً عند غادةٍ
لقالت ليَ ارجع حيثما كنتَ ثاوياً

أضعتَ لدى غيري شباباً اظنّهُ
لما فيك من آثاره كان باهياً

وما جئتني الاّ بشيبٍ وصلعةٍ
لتأخذَ ما لم تُعطِ اذ كنت غانيا !

. . .

فيا نفس هذا شرٌّ ما كنتُ أتقي
من الشرِّ قد اوقعتني فيه كابيا

فأين الذي أمَّلتني من معيشةٍ
ترقرق فيها جدول السعد صافياً

وأين الحمامات ُ التي كان صيدها
حلالاً لدُن كان الشباب موءاتيا
شباب الفتى حلمٌ فإِن يبقظ الفتى
يرَ الشيبَ في فودَيه كالموت قاسيا

قالوا فلانٌ سبَّكَ اللومَ على
مسامع الناس بلفظٍ منكرِ
قلتُ اعذروه إِنني عاذرهُ
ما يصنع الكلبُ اذا لم يعقرِ ؟ !

الشمعة المحترقة *

يا صديقي شفيق

اختصرتَ الطريق

رحلتَ قبل الاجل

ففيم هذا العجَل

وأيُّ داعٍ دعاك

وأيُّ وحيٍ اتاك

حتى تركتَ الرفاق

في غمرةٍ لا تطاق

. . .

لم تنجلِ المعركه

للعصبة المدركه

---

* على ضريح رفيق الجهاد المرحوم شفيق عماد المتوفي في سان باولو في ٢٥ ايار ١٩٤٣

فلا استقلّ الوطن
ولا أمنّا المحن
نجمةٌ في السماء
لا لمحة للرجاء
الليل مـا زال ليل
والويل يزداد ويل
والفجرُ عنَّا بعيد
وخلف ذي البيد بيد
وإنّ سود الغيوم
منذرةٌ بالسموم
والواحة المرتجاه
ضائعةٌ في الفلاه
وقد فقدنا الدليل
فكيف نهدى السبيل ؟ !

• •

شفيق يـا ذا الوداد
أفق فما ذا الرقاد

أفي احتدام الجهاد
تنام هذا المنام ؟ !
قم تلق رهط الصحاب
يبكي الاماني العذاب
يبكي الهوى والشباب
يبكي حبيب الشآم

. .

أأخا المروءة والوفاء تركتنا
في غمرةٍ سنزول قبل زوالها
نبكي عليك وخلفنا سوريّةٌ تبكي بأعيننا على آمالها

فقدت بك ابناً قد اضاع شبابهُ
شغفاً بوحدتها وباستقلالها

متغزلاً ابداً بأصغر ربوةٍ
منها الى لبنانَ شيخ جبالها

لو أنصفتك توحّدت نزعاتها
فرقدتَ مغتبطاً بحسن مآلها

ما لي وللبوم

الدهرُ ان كشّرَ عن نابهِ أدفعه بالصاحب النابـهِ
وكلكم لي صاحبٌ نابهٌ يعلم ما بي منه مما بـهِ
لابدعَ ان اعتزّ عمري بكم فالمرء يعتزُّ باصحابهِ
والله لولا الشوق للأهل والولد ولولا فتك انيابـهِ
مـا كنتُ بالنازح عنكم الى
الخلد ولا الراني الى بابهِ
كم طائفٍ منكم بخمر النهى
تسـكرني ألوان اكوابهِ
كـم ناظمٍ فيكم وكم ناثرٍ
شخص المعاني ملء اثوابهِ
اخوانهُ تكرع من خمرهِ وتجرع الاعداء من صابهِ

* انشدها في حفلة وداعٍ اقامها له اخوانه في سان باولو بعد ان انجز طبع ديوانه سنة ١٩٣٢، وكان احد المتعصبين قد تحامل عليه.

ان لان فالحسون في عشهِ

او هاج فالضرغام في غابهِ

في قبة الفنّ ترى روحـــهُ وقلبهُ في قلب محرابهِ

يا عصبةَ الشعر ألا غرّدي يفتخرِ الشعرُ بأربابـــهِ

ما دام تغريدكِ في مسمعي مالي وللبوم وتنعابهِ !

لأنتِ التي أحببتني الحبَّ كلّهُ

وبلَّغتني ما ليس يبلغه الوهمُ

وما قلتِ لي لكنّ عينيكِ قالتا

لقلبي وقلبي ليس يعوزه الفهمُ

الى بلبلٍ يصدح في قفص

ايها الشادي صباحاً أسعدَ الله صباحك
آه لو تسطيع ان تسقيَ ظماَي الروض راحك
لتلقّى كلُّ من في الروض بالبشر صداحك
الندى والزهرُ والنحلُ الـذي يهوى اقاحك
والفراشات التي تغزو مع الفجر ملاحك
والشعاع الضاحك الناسج بالنور وشاحك
والنسيم العابث الراشق بالطلّ ِ جناحك

. . .

أفَتشدو انتَ ام تسمع مولاك نواحك؟
ضلَّ من يزعم أنّ الاسرَ لا يُدمي جراحك
انا لو خُيّرتُ في امرك أطلقتُ سراحك

الزنجيّةُ الحالية

حَمَلَ النسيمُ اليكِ عرفَ الآسِ
فتمتعي بالطيّب الانفاسِ
قومي انظري كم للهوى من منظرٍ
حيٍّ يذكّر قلبكِ المتناسي
إني ليؤلمني فتوركِ في الهوى
نفسُ المحبِّ شديدةُ الاحساسِ
ضحكَ الصباحُ وما رأيت على الربى
ظمأى الشقائق للشعاع حواسي
والطيرُ قد هجرت مجاثمها فما
هذا النعاس ولات حين نعاسِ
الشمس محيية النفوس غنيةٌ
وغنى الكريم أضاع كلّ قياسِ

ملأت أشعتها يديّ بفضّةٍ

فانا الغنيُّ بها على افلاسي !

ماذا يضرّكِ لو وقفتِ هنيهةً

في جانبي او كنتِ من جلاّسي ؟

قومي انظري هذي الفراشات التي

لبست ثيابَ الغيد في الاعراسِ

سبقت الى الورد الصباحَ وشوكهُ

ماضي الشبا كأسنة الحرّاسِ

. . .

إِني امتع ناظريَّ بمنظرٍ بجمالهِ تلتذُّ كلُّ حواسي

فمدينة الافق الجميل صبيةٌ نشأت نشوء الزنبق المياسِ

تبدو لعينيكِ في الصباح كأنها

بلباسها الشفاف دون لباسِ

فاذا الظلام دجا رأيتَ مكانها

زنجيةً مزدانةً بالماسِ

فتحت ذراعيها لضمّ عشيقها

ولغمره بالعطف والايناسِ

فسبت دمالجها النجومَ بنورها

وعقودها سلبت عقول الناسِ

تتفرّق الانوار في اطرافها والصدرُ حالٍ بالاشعة كَاسِ

وترى على الافق النجوم قريبةً

فتحار بين النجم والنبراسِ

غير المنجم لا يميّز طرفهُ

ما بين سارٍ في السماء وراسِ

هذا وذاك وما يمتُّ اليهما

حببٌ طفا متناسقاً في كاسِ

صوَرٌ حقيقتها تلازم مقلتي وخيالها في النوم يملأُ راسي

فأنام مغتبطاً وأنهض باسماً

في حاضرٍ متجهّمٍ عبّاسِ

(الافق الجميل) اذار ١٩٤٤

بين خالدٍ وعصام

سألت الثريا عن الفرقـدِ فقالت مضى مفلتاً من يدي
أساءت اليه فغاب فدمعي يخطط خدّيَّ بالإثمدِ

. . .

ليَ ابنانِ أفدي محياهما بأدنى الكواكب والأبعدِ
كبيرهما راكبٌ رأسهُ ويعلـم ربي متى يهتدي
اذا لمته لامني هاتفٌ يقـول ترفّق ولا تعتدِ
شبابك يظهر في خالدٍ لتنظر امس بعين غـدِ
سكرتَ بخمر الصبا في الصبا
وفيه شردتَ مع الشُّردِ
وكم قد جننتَ جنونَ الهوى
وقبلك جنّ ابوك الردي (١)

(١) الردي هنا: الميت.

وخالدُ سوف يُجنّ ابنهُ

فإنّ جنونَ الهوى سرمدي

اذا ما انتهى فعلهُ بامرىءٍ رأى فعلهُ بابنهِ يبتدي

فيدركُ سيرتهُ في فصولٍ تُمثَّلُ منه على مشهدِ

فإنّ الحياةَ فصولٌ تُعاد وكلٌّ بأسلافهِ يقتدي

• • •

ويبدو صغيرهما عاقلاً فأضحكُ من يافعٍ مرشدِ

أمانيه اكبر منه وابعدُ مما تطول يدُ الأمردِ

وأحلامهُ كعذارى انتعلنَ اللجينَ وتُوّجنَ بالعسجدِ

فيشري العقارَ ويبني الديارَ ويحلم بالمجد والسؤددِ

وما هوَ بالحالم المستريح ولا هو بالشاعر المنشدِ

ولكنهُ عاملٌ في النهار وفي الليل في درسهِ المجهدِ

وإني ليزعجني ناشىءٌ يفكّر كالهرمِ الادردِ

وأحسب أنّ الحجى في الصبا

رداءٌ كبيرٌ على المرتدي

ولا بدّ للمرء من ضلّةٍ متى تأتِ في حينها تُحمَدِ

فلا خالدٌ متعسي بالضلال ولا عاصمٌ بالهدى مسعدي

ولا فرقَ عنديَ بين الغدير والجدول الراكض المزبدِ
ففي ذا وفي ذا شفاء القلوب وتبريد صادية الأكبدِ
وعيني التي أُرمدت حبُّها كعيني التي بعد لم تُرمدِ !

حزيران ١٩٤٤

إنّ شعري لصورةٌ لحياتي
لا غموضٌ فيه ولا تعقيدُ
لا كشعرٍ يذيب قارئهُ المخَّ
ليدري من قالهُ ما يريدُ !

نشيد الوحدة العربيّة

هيا بني يعربَ فالفجرُ حبا

طفلاً تناغيه عصافير الربى

فاستقبلوا الفجرَ وقولوا مرحبا

فجرَ الأمل

فجرَ العمل

فجرَ المعالي سعدنا فيك اكتمل

. . .

هذا بشيرُ الوحدة الكبرى بدا

فاستيقظ الكونُ على صوت الحدا

صوتٌ لهُ في مسمع الدنيا صدى

لما اضطرب

هزَّ الطرب

زُهرَ الدراري أنه صوتُ العرب

• • •

ربّوا الفلاوى للوغى
واستنبتو صمّ القنا
حتى اذا الباغي بغى
ذاق البلايا وانثنى

☆ ☆ ☆

من سفح لبنانَ الى سطح اليمن
قد عمّت البشرى سهولاً وقنن
وامتدت الافراح من بكر الزمن
مصرَ الى
ام العُلى
بغداد تستهوي المغاني والفلا

• • •

النيلُ والاردنّ والعاصي لنا
والرافدان العزّ فيها والغنى
نمنع حتى الطير عنها ان دنا

منها ولم

ينشر علم

للسلم إنّا امةٌ ترعى الذمم

• • •

نحن الأُلى شادوا على

هام الثريّا عزّهم

ساروا الى كسب العلى

خوف الردى ما هزّهم

☆ ☆ ☆

تاريخنا أغنى تواريخ الورى

من يقتبس ما فيه يحتلّ الذرى

مجلى شموسٍ عابها من لا يرى

منذ القدَم

تُعطى الامم

من نورها الفياض ما يجلو الظلم

• • •

كم في حمانا من معانٍ باهره

لا تفضل الصحراءَ فيها القاهره

أصفى سماءٍ فوق ارضٍ طاهره

هذا الوطن

ملء الزمن

بالروح يُفدى كلَّ حينٍ والبدن

. . .

نور الهدى من ارضنا

في معظم الدنيا انتشر

ما أرضنا لو أنصفوا

الاّ سماءٌ للبشر !

الافق الجميل ــ آب ١٩٤٥

عجيبة البستان

كم فيكِ من حسنٍ ومن احسانِ
يا سرحةً تُعزى الى غسانِ
زهَرٌ وأثمارٌ وظلٌ وارفٌ
للصبّ للجوعان للحرّانِ
سان باولو بستان الشعوب تشابكت
فيه وانتِ عجيبة البستانِ
بالامس كنتِ ضئيلةً مجهولةً
واليوم شأنكِ فاق اعظمَ شانِ
يسري النسيمُ بصيتك العطر الذي
يدَعُ الوقورَ يميل كالنشوانِ
صيتٌ يقوم على الحقائق غامراً
من واسع المعمور كلّ مكانِ

* أُنشدت في احدى حفلات النادي الحمصيّ في سان باولو

لا يُنكر الحقّ الصريحَ محاولاً
تقويضَ ما شيَّدتِ الاّ اثنانِ
متعصّبٌ اكَلَ التعصبُ قلبهُ
أو حاسدٌ متخدّر الوجدانِ
انا منكِ، ما أرضاكِ ارضاني بلا
منٍّ عليكِ وما شجاكِ شجاني
لو كُنتُ في لبنانَ واستدعيتني
للشعر طرتُ اليكِ من لبنانِ
وليعلم الثقلان أنّ تبجُّحي
بالمجد لا بمعاملٍ ومبانِ
هذي تزول غداً وذلك ثابتٌ
ابداً برغم طوارق الحدثانِ
إنّ الدواليبَ التي نزهو بها
ونكاد نعبدها مع الديانِ
لو دار دولابُ الزمان دقيقةً
لتوقّفت حتماً عن الدورانِ

ما كان استخفها وأضاءلَ نفعها

لو لم تكن في خدمة العمرانِ

اني لأعرف حقَّها فهي التي

فتحت طريقَ الأصفر الرنانِ

وهو الذي اجترح العجائبَ عندما

بذلته كفٌّ المنعم المحسانِ

ألمالُ حيٌّ في التنقل وهو في

الاكياس مثل الميت في الاكفانِ

والمال في سجن البخيل مصيبةٌ

وقعت على المسجون والسجانِ

فاءِذا تملَّكهُ الكريم أفاضهُ

نعماً على النائين والجيرانِ

. . .

اءِني لأذكر اريحيةَ يوسف(١)

فاجوب روضاً مشرق الالوانِ

---

(١) يوسف اليازجي، من مرمريتا – سوريا – تبرّع بنفقات تدريس العربية سنة كاملة في جامعة سان باولو، ثم عاد فتبرع بنفقات تدريس البورتوغالية في الجامعة السورية في دمشق.

يجني بــه زهـرَ الرجاء منمقاً

نظري ويسكر من شذاه جناني

هذا الفتى العربيُّ أكرمَ امـّهْ

امّ اللغات وامّ كلّ بيانِ

لولاه ما جلَسَت ازاء بناتها

بعمامةٍ تزهو على التيجانِ

وضع الاساسَ لعرشها وأنالهُ

من جوده الموروث خيرَ ضمانِ

فترنمت صحفُ الحواضر باسمها

وبذكرها انفتحت لُها الركبانِ (٢)

وطما المديحُ على ارومة يعربٍ

فتمجّدَ القاصي بفضل الداني

فاإليك يا ابنَ اليازجيّ تحيةٌ

من كل سوريٍ بكلّ زمانِ

أدّيتَ عنا واجباً رجحت بــهِ

عند التفاخر كفّةُ الميزانِ

---

(٢) اللُّها جمع لهاة.

وسواكَ حقّرَنا ولولا غيرةٌ
قويَت عليَّ لصمتُ عنه لساني

من يقرنِ الحرّ الكريمَ بضدّهِ
يقرن غزال المسك بالظربانِ

ويقس شحارير الرياض ببومها
متحامقاً والنحلَ بالذبَّانِ

. . .

ومجلّدٍ لم أجنِ حين ربحتهُ
مما قرأتُ بهِ سوى الخسرانِ

كشَفَ المؤلف فيه عورةَ امّةٍ
هي امّهُ ولدته للبهتانِ

تبّت يداه فإنه لأحقّ من
لهبٍ ومن ابويه بالخذلانِ

جمَعَ الحروفَ الى الحروف فأنتجت
ألفاظَ شؤمٍ ما ابتسمنَ لفانِ

ما كان ايسر خطبنا و اخفَّهُ
لو كنّ ألفاظاً بغير معانِ

لكنهنّ عقاربٌ واساودٌ

ومزابلٌ ومزالقٌ ومزانِ

جُمَلٌ وأسطارٌ لها نتنٌ بهِ

ضررٌ على الأبصار والآذانِ

جيَفٌ تلَذُّ بها الضباعُ اثارها

بعد البلى من لـم يثر لهوانِ

ماذا استفاد ومن أفاد وهل اذا

أحيا الفسادَ يفوز بالنيشانِ ؟ !

امـّا انا فشعرتُ حين تلوتهُ

بتقزّزٍ وأُصبتُ بالغثيانِ

فطرحته في النهر ثم ندمت من

خوفي على الاعشاب والحيوانِ

المنعش الارواح ان لوّثتهُ

كان المميت لها وكنت الجاني

. . .

يا حمص كم لك في المهاجر من فتىً

حرٍّ بحبكِ دائم الهيمانِ

لو خيَّروه لباع سائر عمرهِ
بدقائقٍ يعطيكها وثوانِ

يا حمص عفوَكِ إن من هجروكِ ما
هجروكِ بل حملوكِ في الاذهانِ

فلأنت ملءُ قلوبهم وضلوعهم
ولأنتِ في الاحداق والأجفانِ

يا حمص، كلّ الاوفياء اذا نأت
اوطانهم حنّوا الى الاوطانِ

اما بنوكِ فقد أناف حنينهم
وطغا على ما كان في الحسبانِ

في كلِّ دسكرةٍ وكلّ مدينةٍ
يتغزّلون بحسنك الفتانِ

ويشيّدون لكِ الهياكل فخمةً
فكأنما انتِ الآله الثاني

أسمعتِ بالنادي ؟ أجاءكِ انهُ
ملهىً يلطّف حرقةَ الهجرانِ ؟

أرأيتِ كم قسٍ يهزُّ بيانهُ

اعوادَ منبرهِ وكم سحبان؟

أرأيتِ كيف يفيض من شعرائهِ

عاصي الشعور وكوثر العرفانِ؟

لكِ ما سمعتِ وما رأيتِ وانهُ

لو تعلمين مدائحٌ وتهاني!

. . .

والميتمُ السوريُّ حسبكِ انهُ

لولا بنوك لما بناه الباني

حَمَلَ اسمَ سوريا فزاد ربوعها

شرفاً وأولى اليائسين اماني

أحنى على الايتام من آبائهم

ومن امهاتٍ كنّ بحرَ حنانِ

فتوهّمَ الايتامُ فقرهمُ غنىً

واليتمَ مرحمةً من الرحمانِ

اِنّ الأُلى جعلوا المصيبة نعمةً

حلّوا الحياةَ بسكّر الايمانِ

حضنوا اليتيمَ وهذّبوه فأوجدوا

رجلاً لهُ في المكرمات يدانِ

لو أهملوه لم يعش ولعلّهُ

لو عاش لم يعطف على انسانِ

ولعلهُ ما كان الاّ نبلةً

مسمومةً في جعبة الشيطانِ

يرمي بها من شاء انّى شاءَ لا

متهيباً احداً ولا متواني

فغدا بما آتوه خيراً شرُّهُ

اِن التشرّدَ وحدَه شرّانِ

. . .

انا ما ذكرتُ بنات حمصٍ مرّةً

الاّ ذكرتُ الوردَ في نيسانِ

يشبهنهُ بجمالهِ وعبيرهِ

ويفقنه بالعطف والاحسان

هنَّ الربيع بما لهُ من بهجةٍ

والصيفُ من ثمرٍ وطيب مجانِ

ثمرُ الفضيلة لا يذاد ولا يُرى

متهرّئاً ابداً على الاغصانِ

يبذلنهُ للمعوزين تبرُّعاً

متنوّعاً ويؤبنَ بالشكرانِ

غيدٌ يسابقن الرجالَ الى العلى

فيحزنَ غار السبق في الميدانِ

مَن لطفهنَّ لصحة الارواح قد

شدنَ المصحّ لصحةِ الابدانِ

فكأنهنَّ حلفنَ ان يُبرئنَ ذا

سقمٍ وان يُفرحنَ ذا أحزانِ

يدعو العليلُ لهنّ في جنح الدجى

والبدرُ مصغٍ والنجوم روانِ

فتؤمّن الاسحار والازهار والاطيار في الوكنات والثقلانِ

ربّاه صن فتيات سوريا وكن

عوناً لهنّ فهنّ عون العاني

لو يستطعنَ جعلنَ ارضكَ جنّةً

بالحور آهلةً وبالولدانِ

واحفظ لهنَّ بلادهنّ سليمةً

من كلّ (دي غولٍ) من الغيلانِ

فلقد بدا ناباه قبل نجاتهِ

من بين نابَي غولهِ الالماني !

سان اولو ١٩٤٤

أليسَ لوجه فاتنتي طلوعٌ ؟

فقد طال التحجب والافولُ

نوافذ خدرها كجراح قلبي

مفتَّحةٌ ولكن لا تسيلُ !

ماءٌ في صحراء

تحوَّلَ وحشةً ما كان انساً
وصوَّحَ بعدكِ الروضُ الأغنُّ
فلا الوجه الصبيحُ تراه عيني
ولا التلفون في اذني يرنُّ
افكّر فيك يقظاناً واعفو
عسى طيفاً يزور فأطمئنُّ
وأسأل ساهراً عنكِ الدراري
عسى بالردّ احداهـا تمنُّ
وان ذُكر اسمك المحبوب عفواً
سمعتُ القلب من وجدٍ يئنُّ
احنُّ الى لقاكِ وكيف مثلي
الى من كان مثلكِ لا يحنُّ
فإني شاعرٌ للفنّ يحيا
وانتِ وكلّ شيءٍ فيكِ فنُّ

وهذا الحسنُ في الصحراء ماءٌ

تمنَّى وردَهُ انسٌ وجنٌ

وهذا الظرف يفضح كلّ ظرفٍ

وينسخ كلَّ ما للظرف سنّوا

مزجتِ بخمر لحظٍ خمرَ لفظٍ

فأيٌّ فتىً يذوق ولا يُجنُّ

الى متطاول

قل للذي في الشعر صوَّر نفسه

لما توغّلَ في السباب وامعنا

انا من يعفُّ عن السفيه تأدباً

أعرفت من هذا الذي يَدعى «انا» ؟ !

عيدي

أطلّ العيد جذلاناً يغنّي
ويضحك للطفولة من بعيدِ
ولما صار في بيتي رآني
شقيّ القلب في بيتٍ سعيدِ
انا الباكي على ايام انسي
ونادب لذة العيش الرغيدِ
أيُفرحني بعيداً عنكِ عيدٌ
وقربكِ فرحتي الكبرى وعيدي

بيتي الذي انا ساكنه

يهنئني صحبي ببيتٍ شريته
ولم يعلموا اني من الفقر راهنه

على أنّ لي في غير نوعٍ من الغنى
بحوراً بها «جون بول» ضاعت سفائنه

فلي كلّ بيتٍ في الثريا قبابهُ
نجوم الثريّا كلّها لا توازنه

بنائي وملكي ارضه وسماوهُ
وظاهرهُ المكسوُّ نوراً وباطنه

مقيمٌ على الطبع السلَيم أساسهُ
وبالشعر بانيهِ وبالسحر داهنه

يزمزم رعدٌ لا ترجّ حياطهُ
وتعصف ريحٌ لا تغصّ مداخنه

وما ضارهُ مرُّ الزمان وانما
تزيد على مرّ الزمان محاسنه

ولو شاء يبني مثلهُ ربُّ مصرفٍ
طويلٍ عريضٍ لم تفده خزائنه

يرى حسنهُ الاعمى الذكيُّ بسمعهِ
وكم مبصرٍ من جهلهِ لا يعاينه

وكم حاسدٍ لصٍّ يودّ امتلاكهُ
ويرجع عنه عاجزاً وهو شائنه

تغنّوا به في الشرق فافترّ ليلهُ
وراحت تناغي النيّراتِ مآذنه

ومالت رواسيه يرنحها الصدى
وهبّت بواديه وجاشت مدائنه

. . .

فيا ايها الصحبُ الأُلى لا يفوتهم
جميلٌ ولا تخفى عليهم دفائنه

أقلُّ بيوتي قيمةً واخسّها
وأسخفها البيت الذي انا ساكنه !

(الافق الجميل) شباط ١٩٥٤

إذا ... وإن

ضعي النيران في روحي وجسمي
ولا تضعي لهذا الجور حدّاً

ولا تصغي الى قلبٍ جريحٍ
تحكّمَ فيه جفنكِ واستبدّا

فليس محبكِ المفتون حبّاً
يرى من موتهِ بهواكِ بدّا

اذا بعدت ديارك مات شوقاً
وإن قربت ديارك مات صدّا

ما جاعَ لبنانُ ...

لبنانُ من نور العروبة يقبسُ
فليبسمِ الغاوون او فليعبسوا
هذي تباشير الصباح تدلُّنا
ان سوف يغمرنا نهارٌ مشمسُ
عقدان بل ليلان كنا فيهما
ندعو على وحش التفرّق يفطسُ
لا بل هما وحشان، وحش وصايةٍ
شرسٌ ووحش عمىً وهذا أشرسُ
يتعاونان على الشآم وأهلها
ذئبٌ يريق دماً ودبٌّ يلحسُ
ذهب المجاهر بالعداء فليته
أخـذَ الذي بالطائفية يهمسُ

لولاهما ما كان الآنَ حاكمٌ
فردٌ لأُمتنا والآنَ مجلسُ

انا ما قرأتُ ولا سمعتُ بأننا
شعبان بينهما حدودٌ تُحرسُ

ما جاع لبنانٌ وفي سوريّةٍ
خبزٌ ولن يعرى وفيها ملبسُ

لبنانُ في دين العروبة مذهبٌ
امّا العروبة فهي دينٌ أقدسُ

لبنانُ في عقد العروبة درّةٌ
فهو النفيس لديَّ وهي الأنفسُ

لبنانُ فرعٌ ناضرٌ في دوحةٍ
طابت مجانيها وطاب المغرسُ

أأنا غريبٌ في دمشقَ وأهلُها
أهلي بلطف حديثهم استأنسُ ؟

أفَأجنبيٌّ في الشآم فتىً لهُ
لبنانُ مهدُ طفولةٍ لا الأندِسُ؟!

أعَلى الدمشقيين في بيروت أن
يتحمّلوا التعيير او يتجنسوا ؟ !

هذا اختراع الآكلين آلههم
قامت تؤيدُهُ عجوزٌ مومسُ

تمشي المفاسد خلفها وامامها
والسلُّ يزحف حولها والسفلسُ

شاءت مطامعها فشادت فوق ما
كانوا على صخر التعصّب أسّسوا

نفخت بهم روحَ العداء ليعربٍ
فتفينقوا في ظلها وتفرنسوا

كنا نقول لهم حذار وكلما
قلنا حذار تبختروا وتبهنسوا!

ناموا على ريش النعام وما دروا
انّ الذي وليَ الحمايةَ أطلسُ

حتى اذا فتح الصراخُ عيونهم
وجدوه في دمهم يعوم ويغطسُ

يطأُ القلانسَ واللحى بحذائهِ

فاذا لمسنَ حذاءهُ يتنجّسُ !

لســنا وربكَ شامتين وانما

نخشى رجيماً ما يزال يوسوسُ

بعداً لأفيون الهوان فانهُ

لم يرضَ معتادوه ان لم يُرفسوا

إنّا نرى الغربانَ ناظرةً الى

الماضي تجنّز تارةً وتقدّسُ

تبكيه يائسةً وتأمل عَودَهُ

فتخيط اثوابَ الهناء وتلبسُ

املٌ سرابيٌّ عقيمٌ ضائعٌ

أملٌ غرابيٌّ عديمٌ مفلسُ !

ذهب الذي روّى فسائلَ شرّهِا

بغيوث شرّتهِ فكادت تيبسُ

مَن ذا يكيد ليعربٍ ولأحمدٍ

ويحرّك النعراتِ وهو يدلّسُ ؟

مَن ذا يظاهرها اذا كادت وكم
كادت فسال دمٌ وفاضت أنفسُ ؟ !

دَهَمَ الخفافيشَ الصباحُ أما ترى
للذعر كيف طريقها تتلمَّسُ ؟

حيرى مولّهةً تروح وتنثني
ولهى محيَّرةً تميل وتجلسُ

تتذكر الليل القديم فتدّعي
ويروعها الفجرُ الجديد فتخرسُ

ويهزُّ نخوتها الغرورُ فتنتخي
وترى البنادق في الأكفّ فتسلسُ

وتودّ لو كان الظلام مخيّماً
ابداً وكان الصبح لا يتنفّسُ

هيهات قد خابت امانيها فلا
المرؤوس فاز ولا استفاد الريّسُ

(ألعقل) منحوسٌ اصاب بدسّه
عكس المؤمَّل و (الغريّب) أنحسُ

والوكر في لبنانَ مضطربٌ يرى
شبحَ العروبةِ في الطريق فيوجسُ
حسبَ الجحيم لظىً كما وُصفت لهُ
فاذا الجحيم شبابها المتحمسُ !

. . .

احرار سوريا الذينَ ألفتموا (١)
رحبَ الفضاء يضيركم أن تُحبسوا
لا ترهبوا هذي الحدود فانها
خطٌّ على رملٍ يزول ويدرسُ
بين الأُلى قسموا البلاد وبيننا
حربٌ وليس يفوز مَنْ لا يبوءسُ
الوحدةُ الكبرى لنا أُمنيّةٌ
حاشا لطلاّب العلى أن ييأسوا!

---

(١) يريد بسوريا، سوريا التي خلقها الله لا التي مسخها التعصب والاستعمار !

كذّابون !

عاقب الله دولة من ذوات المخالبِ
أشعبٌ في رجالها ناسكٌ في اشاعبِ
تنهب الارض والسما وهي في زيّ راهبِ
كلُّ مـا في بلادها من بلاد الأجانبِ

. . .

إن رأيتَ ابنَ لندنٍ في سماء المناصبِ
يشجب الظلمَ لائماً كلَّ شعبٍ محاربِ
باكياً رقةً عـلى خائفٍ منه هاربِ
لا تصدقه إنهُ كاذبٌ وابن كاذبِ !

. . .

إِن فــي الهند ملعباً بالطلى للقواضبِ
إِنّ في مصرَ هزّةً حرّكت كلّ راسبِ
إِنّ في القدس خدعةً لاقتناص الاعاربِ
إِنّ في كل بقعةٍ مسرحاً للعقارب ! ! !

من غلبت شهوتُهُ عقلَهُ
بعد انتشار الشيب في لمّته
نظرهُ أقصر من أنفهِ
ورأسهُ اخفّ من مقلته !

اهداء

اهدى الناظم نسخةً من ديوانه المطبوع سنة ۱۹۳۲ الى امه بعد ان كتبَ عليها:

أمّاه هذا الياس عاد وإِنهُ
هذا الكتاب بمتنهِ وشروحهِ
فبرسمهِ تلقين صورةَ جسمهِ
وبنظمهِ تلقين صورةَ روحهِ

وكتب على نسخةٍ اخرى اهداها الى صديقةٍ له:

ازفُّ اليكِ ديواني وإِني
لأرجو العذر منكِ على قصوري
وما هو بالقليل ففيه شعري
بجملتهِ وفي شعري شعوري
اذا طالعتهِ ألفيتِ قلبي يسيل مع المداد على السطورِ

ويصرخ في يديكِ صراخَ طفلٍ

بهِ جوعٌ الى اللبن الطهورِ

فهذا القلبُ ليس لهُ مثيلٌ

وما لكِ من مثيلٍ في الخدورِ

اذا ألقيتهِ في النار عمداً

ليرضيكِ استحال الى بخورِ

فلا تقسي عليه وعامليهِ

بعطفكِ تملكيه مدى الدهورِ

فهرس